المبادرة
ALMOBADARA
«نبدأ حيث يتوقّف الآخرون»

العدد (٠٩) الجمعة ١٥ نيسان ٢٠٢٦ | رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق – بغداد – ٢٩١٧ - ٢٠٢٥ | جريدة يومية سياسية – ثقافية – اقتصادية - اجتماعية

القضاء العراقي ينتصف لضحايا الأنفال بعد عقود من الإفلات

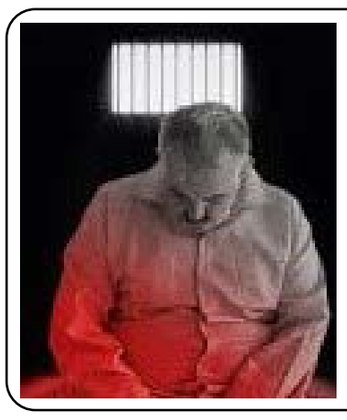

أصدر القضاء العراقي، حكماً بالإعدام بحق أحد أبرز المتهمين "عجاج التكريتي" في جرائم سجون الحقبة السابقة، وذلك بعد محاكمة شهدت تقديم اعترافات وأدلة وثائقية وشهادات لضحايا ومدعين بالحق الشخصي. المتهم أدين بارتكاب جرائم خطيرة داخل سجن «نقرة السلمان» خلال فترة حملات الأنفال القسرية التي استهدفت أبناء القومية الكردية

يعد إعدام المتهم في قضية سجن «نقرة السلمان» انتصاراً رمزياً وقانونياً للضحايا وعائلاتهم الذين انتظروا عقوداً لتحقيق جزء من العدالة. لكنه في الوقت نفسه يذكر بآلاف القضايا المفتوحة الأخرى التي لا تزال تنتظر دورها في المحاكم العراقية، وبأهمية استمرار دعم المؤسسات القضائية والاستخباراتية لكشف مرتكبي الجرائم المتبقين، وضمان عدم إفلات أي مجرم من العقاب، مهما طال الزمن أو أحكمت خيوط التضليل

العراق بعد الدخان الأبيض... علي الزيدي بين مطرقة واشنطن وسندان طهران

خرج الدخان الأبيض من قبة البرلمان العراقي، إيذاناً بولادة حكومة علي فالح الزيدي بعد جلسة تاريخية نال فيها ثقة النواب. لكن السؤال الأعمق الذي يطرحه المراقبون اليوم، بعد ساعات فقط من تشكيل الحكومة، ليس «هل انتشل الزيدي العراق من الفوضى؟»، بل «هل يستطيع أن ينتشله قبل أن تنهار العصا الهشة بين الكتل المتصارعة؟»

لقد صدّق الكثيرون على أن منح الثقة للحكومة كان بمثابة سحب العراق من حالة فوضى كبيرة كادت أن تلتهم مؤسساته. لكن الحقيقة المرة أن البلاد، في يومها الثاني من عمر الحكومة الجديدة، دخلت مرحلة أكثر تعقيداً: مرحلة تحقيق توازن مستحيل بين كتل سياسية متوافقة اسمياً، لكنها متحاصصة ومتناحرة فعلياً على المال والسلاح والنفوذ

العبء الثقيل على كاهل الزيدي

لا يخفي المتابعون حقيقة مفادها أن المسؤولية الملقاة على عاتق رئيس الوزراض الجديد تفوق بكثير ما تحمله أي من أسلافه. فهو يواجه، في المشهد الداخلي، مطالب متضاربة من أطراف صنعته سياسياً، وكل منها ينتظر دوره في «الكعكة الوزارية» التي لم تكتمل بعد (إذ جرى تأجيل ٦ وزارات كبرى، بينها الداخلية والتعليم العالي والدفاع). وفي المشهد الخارجي، يُسحب من تحت قدميه بساط التوازن بين قطبين لا ثالث لهما: **مطرقة أمريكا** التي تريد حكومة ضعيفة منقادة في ملفات النفط والضربات التركية والأجندة الغربية، **وسندان إيران** التي لن تتنازل عن حصتها النافذة في القرار العراقي عبر الميليشيات والنفوذ السياسي

السيناريو الأصعب

الزيدي يدرك، مثلما يدرك كل عراقي، أن أي خطأ في التقدير سيؤدي إلى انزلاق البلاد مجدداً نحو فوضى أشد من سابقتها. فالحكومة الجديدة لم تولد بعد مكتملة الصلاحيات، والشارع العراقي يتضور جوعاً وينتظر خدمات وليس وعوداً. وفي غياب الدعم الشعبي الحقيقي، ستصبح الحكومة مجرد حلبة مصارعة جديدة للقوى المتقاتلة على النفوذ

أمام الزيدي خياران*

إما أن يكون رئيس وزراء لكل العراقيين، فيواجه بكل شجاعة الضغوط الأمريكية والإيرانية على حد سواء، ويفرض هيبة الدولة بالقانون لا بالمساومات. وإما أن يتحول إلى مجرد وسيط بين الأطراف، فتتدحرج البلاد نحو هاوية لا قرار لها

أكثر من عقدين والعراق يتأرجح مثل البندول ما بين تنفيذ من تطلبه إيران وتأكيد ما تفرضه أمريكا، وكلا الأمرين كانا على حساب الشعب العراقي، الذي عانى ويلات حروب الآخرين وكذلك عانى الجوع والتشرد والاهمال. من هذه النقاط على السيد الزيدي أن ينطلق ويؤمن حياة كريمة على الأقل للشعب العراقي ويمنحهم الأمل ولو بعد عقدين وأكثر.

الشعب لا ينتظر المعجزات من الحكومة التي تشكلت على أساس المحاصصة الحزبوية والطائفية كسابقاتها، ولكن كل أملها أن تعيش في عراق أفضل. لأنه العراق يليق به كل جميل

رسالة إلى الشعب العراقي

الحمل ثقيلة جداً على كتف الزيدي، بل ربما هي أثقل من طاقة أي رجل بمفرده. لكن الحقيقة أن انقاذ العراق لا يتحقق بقصر الحكومة فقط، بل بأن يصطف الشعب خلف وطنية القرار لا خلف المحاور الخارجية. أيها العراقيون: إذا أردتم لبلدكم أن يخرج من عنق الزجاجة، فعليكم أن تدعموا حكومتكم حين تسلك طريق السيادة، وتصدوا لها حين تنحرف نحو المحاصصة. أما الصمت والانتظار، فهو الطريق الأقصر نحو الفوضى من جديد

في اليوم الثاني بعد الدخان الأبيض... الساعة تدق، والجميع يترقب؛ هل سينتصر الزيدي لإرادة العراق، أم ستنتصر عليه إرادات الطواحين الكبرى؟

رئيس التحرير صبحي البدري

العراق يمنح الثقة لحكومة الزيدي في جلسة تاريخية

في مشهد سياسي يعكس تجلي الإرادة الوطنية، منح مجلس النواب العراقي، مساء الخميس، ثقته لحكومة رئيس الوزراء علي فالح الزيدي، وذلك بعد تصويت جرى على ١٤ حقيبة وزارية، أدى وزراؤها اليمين الدستورية بحضور ٢٧٠ نائباً، بينما جرى تأجيل البت في ٦ وزارات أخرى لاعتراضات على المرشحين

وقال الزيدي، في بيان تلاه عقب الجلسة: «أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى مجلس النواب والقوى السياسية الوطنية على منحهم الثقة للحكومة، في موقفٍ يجسد علو المصلحة الوطنية وروح الشراكة والمسؤولية». وأضاف أن «هذه الثقة تمثل أمانة كبرى وعهداً أمام شعبنا العزيز، بأن نمضي بثبات نحو ترسيخ الاستقرار، وتعزيز هيبة الدولة، وتحقيق تطلعات العراقيين في التنمية والعدالة والعيش الكريم»

وشهدت القاعة حضوراً لافتاً للرئيس العراقي نزار آميدي، ورئيس مجلس القضاء الأعلى فائق زيدان، ورئيس الوزراء المنتهية ولايته محمد شياع السوداني، إضافة إلى رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني بافل طالباني، في رسالة سياسية عكست دعماً واسعاً للحكومة الجديدة

تفاصيل التصويت على الحقائب الوزارية

وفقاً لخريطة التصويت التي حصلت عليها «روج نيوز»، فقد أقر البرلمان الأسماء التالية:

- باسم محمد خضير وزيراً للنفط.
- محمد نوري وزيراً للصناعة.
- علي سعد وهيب وزيراً للكهرباء.
- عبد الكريم عبطان وزيراً للتربية.
- مصطفى نزار جمعة وزيراً للتجارة.
- عبد الحسين عزيز وزيراً للصحة.
- سروة عبد الواحد وزيرةً للبيئة.
- مثنى علي مهدي وزيراً للموارد المائية.
- عبد الرحيم جاسم وزيراً للزراعة.
- خالد شواني وزيراً للعدل.
- وهب محمد وزيراً للنقل.
- فالح الساري وزيراً للمالية.
- مصطفى سند وزيراً للاتصالات.
- فؤاد حسين وزيراً للخارجية.

تأجيل ٦ وزارات

وفي تطور لافت، قرر المجلس تأجيل التصويت على وزراء التعليم العالي والداخلية والثقافة والتخطيط والإعمار والهجرة والدفاع والشباب والعمل، وذلك بسبب اعتراضات نيابية على المرشحين، مما يرجح عقد جلسات لاحقة لحسم هذه الملفات الحساسة

يذكر أن رئيس البرلمان هيبت الحلبوسي، طلب من الزيدي بدء قراءة المنهاج الوزاري قبيل التصويت، الذي نال بدوره موافقة الأغلبية، في خطوة تعزز آمال العراقيين بمرحلة جديدة من الاستقرار والإعمار

كيف تحولت مناطق عراقية إلى ثكنات عسكرية بيد قوى خارجية ومحلية؟

رغم مرور عامين على إطلاق «مبادرة السلام» المتعلقة بالأزمة الكردية - التركية، ورغم الخطابات السياسية الداعية إلى الحلول الديمقراطية وإنهاء العنف، لا تزال مناطق واسعة من الأراضي العراقية (خاصة في المناطق الشمالية المتاخمة للحدود التركية) تعيش حالة من التصعيد العسكري والإجراءات الأمنية المشددة التي تنفذها جهات فاعلة غير عراقية، بالتنسيق مع أطراف محلية. هذه الممارسات أدت إلى تهجير عشرات القرى، وتدمير المنازل والبنية التحتية، وتحويل مناطق بأكملها إلى ثكنات عسكرية مغلقة، مع منع سكانها الأصليين (من مختلف المكونات) من العودة. يتناول هذا التقرير الأبعاد الإنسانية والقانونية لهذه الانتهاكات، ويسلط الضوء على غياب الدور الحكومي العراقي في حماية سيادته ومواطنيه، ويحول القضية من كونها «إشكالاً كردياً - تركياً» إلى «قضية عراقية وطنية» تتعلق بسلامة الأراضي وحقوق الإنسان ووحدة النسيج الاجتماعي

مع انطلاق ما يُسمى بـ «عملية السلام» (مبادرة الحل الديمقراطي للقضية الكردية في تركيا) قبل عامين، سارعت العديد من القوى السياسية في شمال العراق، بما في ذلك الحزب الديمقراطي الكردستاني، إلى إعلان دعمها الكامل لهذه المبادرة، مؤكدة استعدادها لتحمل «مسؤوليتها التاريخية» في إنجاحها. لكن الوقائع الميدانية، وبعد أكثر من عام على بدء العملية، تكشف استمرار السياسات العسكرية التركية على الأراضي العراقية، بل وتصعيدها في بعض المناطق، مع تعاون محلي سهل هذه الانتهاكات بدلاً من مواجهتها

هذه القرى كانت مأهولة بمزيج من السكان الأصليين (كرد، إيزيديون، آشوريون، تركمان)، مما يعني أن التهجير لم يطال مكوناً واحداً، بل أثر على النسيج الاجتماعي المتنوع للمنطقة. بالتالي، القضية ليست «كردية» فقط، بل عراقية بامتياز

الملاحظ أن الحكومة العراقية الاتحادية (في بغداد) كانت منشغلة بملفات أخرى (الموازنة، الصراعات السياسية الداخلية، أزمة إيران)، بينما تُركت المناطق الشمالية لتدير ملفها الأمني بنفسها. القوات العراقية الرسمية (الجيش والشرطة الاتحادية) ليست منتشرة في هذه المناطق الحدودية، بل تسيطر عليها قوات محلية (أسايش، البيشمركة التابعة لحزب معين). وهذا غياب للسيادة يتحمل مسؤوليته القادة السياسيون في بغداد وأربيل على حد سواء

في ٢٤ شباط الماضي، حاول سكان منطقة بركاري (الذين نزحوا منذ سنوات) كسر الحصار المفروض على قراهم والعودة إليها، ولو بشكل رمزي. لكن بحسب الأهالي، تم تشديد الإجراءات الأمنية فوراً، وتم منعهم من العودة بقرار مشترك بين الجهات الأمنية المحلية (التابعة للحزب الديمقراطي) والدولة التركية. هذا يؤكد أن «الحصار» ليس مجرد إجراء عسكري تركي أحادي، بل هو سياسة منسقة بين طرفين

تحويل القضية إلى مشكلة عراقية وطنية – لماذا يجب أن يهتم بها كل عراقي؟

أ. السيادة أولاً: إذا كانت الأراضي في شمال العراق قابلة للانتهاك التركي بهذه السهولة، فلماذا لا تنتهك إيران أو

السعودية أو إسرائيل أراضٍ في الجنوب أو الغرب بنفس الطريقة؟ غياب الردع الوطني يجعل كل محافظة عراقية عرضة للخطر. هذه القضية تتعلق بكرامة الدولة العراقية وليس بإثنية السكان

ب. سابقة خطيرة للتشرذم: القوى المحلية التي تتعاون مع قوات أجنبية ضد مواطنيها تخلق سابقة خطيرة لتقسيم الولاءات. المواطن العراقي يجب أن يكون ولاؤه للدولة العراقية فقط، وليس لأحزاب أو جهات خارجية. استمرار هذه الممارسات يعمق التشرذم ويقوض فكرة «العراق الواحد»

كذلك تفعيل دور منظمات المجتمع المدني العراقية (غير الحزبية) لتوثيق الانتهاكات ورفع دعاوى قضائية أمام المحاكم المحلية والدولية. وإطلاق حملة إعلامية وطنية لكسر جدار الصمت، تعيد تعريف هذه القضية كهم عراقي مشترك وليس كإشكال إقليمي ضيق

رفض نقابة الفنانين تحويل وزارة الثقافة إلى «غنيمة حزبية»

في تطور يعكس تصاعد الاحتقان بين المؤسسات الثقافية المدنية والطبقة السياسية في العراق، أعلنت نقابة الفنانين العراقيين (المجلس المركزي) رفضها القاطع لإدراج وزارة الثقافة والسياحة والآثار ضمن نظام المحاصصة الحزبية وتقاسم المناصب الوزارية. واعتبرت النقابة في بيان رسمي أن التعامل مع الوزارة بوصفها «مغنماً حزبياً» أو «ورقة تفاوض» يمثل اعتداءً مباشراً على المشروع الثقافي الوطني، وتكريساً لمنطق تحويل الدولة إلى حصص، والمؤسسات إلى مكاتب نفوذ.

جاء بيان نقابة الفنانين ليكسر حالة الصمت المطبق التي سادت لسنوات، ويعيد فتح ملف «سيادة المؤسسات الثقافية» وسط حالة من الإحباط المتزايد في الأوساط الفنية والأكاديمية من الأداء الحكومي

البيان لاقى تفاعلاً واسعاً في وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أيده فنانون وأكاديميون ومثقفون، معتبرين أن «الكلمة الفصل يجب أن تكون للفنانين وليس

للسياسيين فيمن يدير الثقافة العراقية». هذا التأييد الشعبي قد يشكل حاضنة قوية للنقابة إذا قررت التصعيد

في النهاية، كما يقول البيان، «حفظاً لماء الوجه والمنطق» – وهما عملتان نادرتان في السياسة العراقية، لكن الثقافة ربما تكون المجال الوحيد الذي يمكنه إعادة إحيائهما على الكتل السياسية أن تستبق الأزمة وتعلن بشكل رسمي أنها لن تضع وزارة الثقافة ضمن حصص المحاصصة، وتدعو إلى تشكيل لجنة من نقابة الفنانين واتحاد الأدباء والكتاب لترشيح شخصيات مستقلة لإدارة الوزارة في الحكومة المقبلة. هذا هو أقل ما يمكن تقديمه لإنقاذ ما تبقى من المشهد الثقافي العراقي

في هذا العدد

كيف يمكن حثّ الحكومة العراقية على الاهتمام بالبيئة؟
الصفحة ٤
عزيز محمد

المرأة والطبيعة (البيئة): قصة استعباد واحدة وتدمير مزدوج
الصفحة ٥
نازك عبد الوهاب

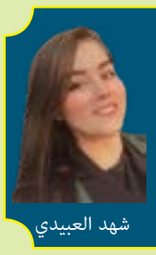

تأثير الحروب على الأسرة والمرأة ودورها في بناء السلام
الصفحة ٥
شهد العبيدي

الإنسان المُعاد تدويره... كيف تحوّلنا إلى نسخ قابلة للاستهلاك
الصفحة ٦
بسام البديري

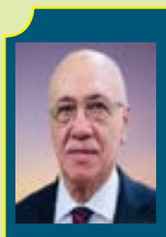

حقوق الانسان في العراق - ملف ساخن
الصفحة ٦
صبحي الجميلي

الموت والحياة.. معنى الحقيقي للحياة
الصفحة ٧
آكار تاج الدين

الإعلام المزيف في العراق وتأثيره على المواطن العراقي
الصفحة ٧
علي آل سلمان

خوف «أمل» (٢)
الصفحة ٨
محمد الأمارة

ثقافة الصويرة لوحة زمنية مستمرة
الصفحة ٨
أ. علي كوكز آل وان

كيف يعيد تهديد مضيق هرمز رسم خرائط الطاقة والنفوذ في كردستان والمنطقة

في ظل تصاعد التوترات العسكرية بين إيران من جهة والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى، وتزايد احتمالات إغلاق مضيق هرمز أو تعطيل الملاحة فيه، عادت الأسئلة القديمة - الجديدة حول بدائل آمنة لنقل الطاقة والتجارة إلى واجهة الاهتمام الإقليمي والدولي. لم تعد هذه البدائل مجرد خيارات نظرية، بل تحولت إلى مشاريع استراتيجية متنافسة، أبرزها «طريق التنمية» بين العراق وتركيا، و«خطة البحار الأربعة» على المحور السوري - التركي. يتبين أن الجغرافيا الكردستانية (في كل من العراق وسوريا) باتت تشكل العقدة المحورية التي تمر عبرها غالبية خطوط النقل والطاقة الجديدة، مما يضع كردستان في قلب تنافس إقليمي ودولي متزايد على السيطرة على الممرات الاقتصادية البديلة.

تعود جذور الاهتمام المتجدد بممرات الطاقة البديلة إلى عاملين رئيسيين مترابطين

١. التهديد الوجودي لمضيق هرمز: يشكل مضيق هرمز، الذي يمر عبره نحو ٢٠٪ من النفط الخام العالمي و٣٠٪ من الغاز الطبيعي المسال، نقطة ضغط استراتيجية بيد إيران. فباستخدام الزوارق السريعة والألغام البحرية والصواريخ المضادة للسفن (بما فيها صواريخ «خليج فارس» الباليستية)، تستطيع طهران تعطيل الملاحة فيه بشكل كامل أو جزئي. في حال تحقق ذلك، سترتفع أسعار النفط والغاز بشكل غير مسبوق، مما سيسبب صدمة للاقتصاد العالمي قد تفوق صدمة السبعينيات. هذا التهديد هو ما يدفع الدول المستهلكة للطاقة (خاصة أوروبا وتركيا) والمنتجة (دول الخليج والعراق) إلى البحث عن ممرات برية آمنة

٢. *إعادة تشكيل التحالفات الإقليمية بعد حرب غزة وحرب إيران: أظهرت الحروب الأخيرة (غزة ٢٠٢٣-٢٠٢٤، ثم الحرب الأمريكية - الإيرانية ٢٠٢٦) هشاشة الممرات البحرية التقليدية، وأهمية وجود بدائل برية لا يمكن استهدافها بسهولة بواسطة الصواريخ أو الزوارق الانتحارية. كما أن سقوط نظام بشار الأسد في أواخر ٢٠٢٤ فتح المجال أمام إعادة إحياء مشاريع كانت مجمدة بسبب الحرب السورية والعقوبات

مع سقوط نظام الأسد في أواخر عام ٢٠٢٤، وتشكيل إدارة مؤقتة بقيادة أحمد الشرع (أبو محمد الجولاني)، عاد المشروع إلى الواجهة بقوة. فخلال مشاركته في «منتدى أنطاليا الدبلوماسي» في ١٧ نيسان (أبريل) ٢٠٢٦، ثم في قمة الاتحاد الأوروبي بقبرص يوم ٢٤ نيسان، تحدث الشرع عن مساعي بلاده لتحويل سوريا إلى ممر بديل لنقل الطاقة والبضائع، معتبراً أن سوريا يمكن أن تشكل «جسراً يربط الخليج بتركيا، وخطاً للاستقرار في شرق المتوسط». كما وصف وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني، خلال زيارته إلى أنقرة، المشروع بأنه «بداية مرحلة جديدة من الشراكة الاستراتيجية بين سوريا وتركيا»

وفقاً لوثيقة سعودية - أميركية - تركية مشتركة كشفت عنها مجلة «المجلة» السعودية، تتضمن الخطة ثلاثة محاور رئيسية

١. محور النفط – إعادة تأهيل خط كركوك – بانياس.

٢. محور الغاز – تمديد «الخط العربي للغاز»: كان «الخط العربي للغاز» يربط مصر بالأردن وسوريا ولبنان. الخطة الجديدة تقضي بتمديده شمالاً ليربط تركيا، ومنها إلى أوروبا (عبر خطوط مثل «تاناب» و«البحر الأسود»)

٣. محور النقل اللوجستي – السكك الحديدية والطرق البرية: إنشاء شبكة سكك حديدية حديثة تربط الحدود العراقية (منطقة البوكمال) بالحدود التركية (منطقة تل أبيض أو جرابلس)، مروراً بدير الزور والرقة وحلب. تطوير موانئ اللاذقية وطرطوس وبانياس لتكون منافذ رئيسية للبضائع القادمة من الخليج وآسيا الوسطى

«طريق التنمية» – المنافس الشرقي لخطة البحار الأربعة

المكونات المادية للمشروع:

- الطول الإجمالي: ١٢٠٠ كيلومتر من السكك الحديدية والطرق السريعة المزدوجة

- المسار الأساسي: يبدأ من ميناء البصرة (شمال الخليج العربي)، مروراً بمحافظات الناصرية والديوانية والنجف وكربلاء وبغداد ونينوى، وصولاً إلى معبر «أوفاكوي» (OVAKÖY) على الحدود التركية - العراقية (في منطقة إقليم كردستان)

- المرحلة الثانية: ربط خطوط فرعية بحقول النفط في كركوك ومنطقة كردستان (أربيل والسليمانية)

- القدرة الاستيعابية المستهدفة: نقل ٦ ملايين حاوية سنوياً، ونحو مليون برميل من النفط يومياً عبر أنابيب موازية

الأبعاد الأمنية والتوسع التركي:

رغم الطابع الاقتصادي للمشروع، يشير محللون مثل صلاح الدين أردم (في مقال نشر بتاريخ ٢٤ نيسان ٢٠٢٤) إلى أن للمشروع أبعاداً أمنية واضحة. فتركيا تستخدم المشروع كغطاء لتوسيع نفوذها العسكري في مناطق شمال العراق وإقليم كردستان، وتثبيت وجودها في مناطق كانت سابقاً تحت سيطرة حزب العمال الكردستاني (PKK). يعتبر أردم أن «طريق التنمية» بصيغته الحالية يفرض «حصاراً على جنوب كردستان»، ويمثل محاولة من حكومة أردوغان «لاستكمال أهداف لم تحققها عسكرياً في مناطق الدفاع المشروع»

التنافس مع IMEC ومبادرة الحزام والطريق

أ. IMEC – الممر الهندي - الأوسط - الأوروبي:

أُعلن عن مشروع IMEC (INDIA-MIDDLE EAST-EUROPE CORRIDOR) على هامش قمة مجموعة العشرين في نيودلهي عام ٢٠٢٣، بمشاركة الهند والسعودية والإمارات والأردن وإسرائيل واليونان وإيطاليا والاتحاد الأوروبي، وبمباركة أميركية واضحة. يهدف IMEC إلى إنشاء ممر تجاري وطاقة يبدأ من الهند، عبر ميناء الخليج العربي في الإمارات، ثم عبر السعودية والأردن، ثم ميناء حيفا الإسرائيلي (أو ميناء غزة قيد التطوير)، ثم عبر البحر المتوسط إلى أوروبا

ب. لماذا تعتبر تركيا أن IMEC خسارة استراتيجية؟

الممر IMEC يستبعد تركيا تماماً من المسار الرئيسي. هذا يعني أن تركيا، التي كانت لقرون جسراً بين آسيا وأوروبا، ستصبح مهمشة في تجارة الطاقة والسلع العالمية. كما أن إدراج إسرائيل في الممر يعزز الدور الجيوسياسي لدول الخليج وإسرائيل على حساب أنقرة. هذا الاستبعاد هو ما دفع تركيا إلى التحرك بقوة لإحياء «خطة البحار الأربعة» مع سوريا، و«طريق التنمية» مع العراق، كبديلين موازيين ينافسان IMEC بل ويتحدیانه

ج. الموازنة مع مبادرة «الحزام والطريق» الصينية:

على الجانب الآخر، هناك مبادرة «الحزام والطريق» (BRI) الصينية التي استثمرت بكين فيها أكثر من تريليون دولار. بينما تتنافس المشاريع التركية - السورية - العراقية مع IMEC، فهي ليست بالضرورة منافسة مباشرة للمبادرة الصينية. بل على العكس، قد ترى بكين في هذه الممرات الجديدة فروعاً إقليمية لـ «الحزام والطريق»، خاصة أن الصين لديها مصالح كبيرة في موانئ الخليج والعراق وإيران. لكن التحدي الأكبر هو أن هذه الممرات الجديدة (خاصة طريق التنمية) ستوفر بديلاً أوروبياً للبضائع القادمة من آسيا قد ينافس الطريق البحري عبر قناة السويس، مما يقلل الاعتماد على الممرات التي تسيطر عليها مصر

كردستان – العقدة الجيوسياسية والممر الإجباري

أ. المركز الجغرافي المحوري:

أهم ما يلفت الانتباه في جميع هذه المشاريع (خطة البحار الأربعة، طريق التنمية، وحتى الخطوط القديمة مثل كركوك - بانياس) هو أن معظم خطوط الطاقة والتجارة المقترحة تمر عبر جغرافية كردستان، سواء

- كردستان العراق (إقليم كردستان): تمر عبرها خطوط أنابيب كركوك - جيهان (عبر أراضي الإقليم)، وطريق التنمية الذي يمر عبر معبر أوفاكوي في شمال الإقليم، بالإضافة إلى خطوط الكهرباء والغاز بين العراق وتركيا

- كردستان سوريا (روجافا): تمر عبرها أي خط أنابيب أو طريق بري يربط العراق (البوكمال) بسوريا (دير الزور - الرقة - حلب - الحدود التركية). المنطقة الكردية في شمال شرق سوريا هي الحلقة الأضعف والأكثر حساسية في أي مشروع عابر

ب. كردستان كمركز لإنتاج وتوزيع الطاقة:

لم تعد كردستان مجرد ممر عبور، بل تحولت إلى منتج رئيسي للنفط والغاز. فإقليم كردستان العراق ينتج حوالي ٤٥٠ ألف برميل يومياً (قبل توقف التصدير عبر جيهان عام ٢٠٢٣ بسبب نزاع قانوني مع بغداد). كما تمتلك كردستان السورية حقول نفط وغاز كبيرة في منطقة رميلان والجبسة، تسيطر عليها قوات سوريا الديمقراطية (قسد) المدعومة أميركياً. هذا يعني أن أي ممر جديد يجب أن يأخذ في الاعتبار ليس فقط عبور الطاقة المنتجة في الخليج والعراق، بل أيضاً دمج الطاقة المنتجة في كردستان نفسها في الشبكات الإقليمية

يمثل تهديد مضيق هرمز لحظة اختبار حقيقية لنماذج الطاقة والتجارة العالمية. فإما أن تنجح البدائل البرية في الظهور، وإما أن يظل العالم رهينة الجيوبوليتيكا البحرية لإيران. ما يبدو مؤكداً هو أن كردستان – بكل تعقيداتها السياسية والأمنية – لن تكون مجرد متفرج على هذا المشهد، بل ستكون ساحة صراع رئيسية وورقة رابحة لأي طرف يسعى لتحقيق مشروعه. في النهاية، نجاح أو فشل «خطة البحار الأربعة» و«طريق التنمية» سيتوقف على سؤال واحد فقط: هل تستطيع القوى الإقليمية والدولية تجاوز خلافاتها حول كردستان بما يكفي لبناء هذه الممرات؟ أم أن كردستان ستبقى «العقدة التي تخنق الحلم»؟

لماذا يفشل العراق في تحويل عمليات الضبط إلى معركة حاسمة ضد الفساد؟

على الرغم من التصاعد الملحوظ في أرقام عمليات الضبط والإخباريات التي تعلنها هيئة النزاهة العراقية خلال عام ٢٠٢٦، يظل السؤال الاستراتيجي الأهم مفتوحاً: هل تقترب العراق من حسم معركة الفساد، أم أنها غارقة في «وهم الكم» حيث تتضخم المؤشرات الرقمية دون أن تنعكس على بنية الفساد ذاتها؟ يحلل هذا التقرير البيانات الصادرة عن هيئة النزاهة للأشهر الأربعة الأولى من ٢٠٢٦ (كانون الثاني، آذار، نيسان)، وصولاً إلى الأرقام التراكمية لأوامر القبض والإخباريات، ويخلص إلى وجود فجوة بنيوية بين قدرة النظام على «الكشف» وعجزه عن «المحاسبة الفعلية» و«الردع الجذري». تكمن الإشكالية الأساسية في تحول مكافحة الفساد إلى دورة إجرائية مستمرة من الضبط والإحالة، دون معالجة جذور الظاهرة المرتبطة بضعف القضاء، وتداخل النفوذ السياسي، وغياب آليات استرداد الأموال وحماية المبلغين

رغم أن عدد الأحكام القضائية (٣٠) يفوق عدد أوامر القبض الصادرة حديثاً (٢٦) – وهو مؤشر إيجابي نظرياً – إلا أن المعنيين بالملف يؤكدون أن معظم هذه الأحكام تعود إلى قضايا قديمة (عمرها يتجاوز العامين في بعض الحالات)، مما يعني أن النظام القضائي يعمل على «تصفية تراكمات سابقة» وليس على «حسم قضايا حديثة بسرعة». كما أن تدقيق آلاف استمارات الذمة المالية لا يكشف عن أي عقوبات فعلية على الإخفاقات، إذ غالباً ما تخلو هذه الإجراءات من متابعات جزائية

تشير البيانات التراكمية الصادرة عن هيئة النزاهة إلى وجود

- أكثر من ٣٧ ألف إخبار فساد (تبليغات من مواطنين أو موظفين أو جهات حكومية)

- أكثر من ٣١ ألف قضية جزائية** قيد التحقيق أو التداول القضائي

هذه الأرقام لا تمثل مجرد مؤشرات إدارية، بل تعكس أزمة بنيوية في منظومة العدالة العراقية. فعندما يتجاوز عدد القضايا المفتوحة ٣١ ألف قضية، ويكون عدد القضاة المتخصصين في قضايا الفساد (وفق تقديرات غير رسمية) أقل من ٢٠٠ قاضٍ، فإن الرياضيات البسيطة تقول إن كل قاضٍ سيكون مسؤولاً عن ١٥٥ قضية في المتوسط. إذا افترضنا أن كل قضية تحتاج إلى ١٠ جلسات على الأقل (وهو رقم متفائل جداً)، فإن ذلك يعني حاجة إلى ١٥٥٠ جلسة لكل قاضٍ، وهو ما يستحيل إنجازه في سنوات عمل معقولة. النتيجة الحتمية هي إطالة أمد القضايا لسنوات (غالباً ٥-٧ سنوات)، وخلال هذه الفترة تتقادم الأدلة، أو يتوفى المتهمون، أو يتم تسوية القضايا سياسياً

الإشكاليات البنيوية الثلاثة التي تفسر «النصر الغائب»

أولاً: فصام العلاقة بين السلطتين التنفيذية والقضائية: هيئة النزاهة (سلطة رقابية) تقوم بالضبط وتحيل الملفات إلى القضاء. لكن القضاء العراقي لا يزال يعاني من ضعف شديد في الاستقلالية، حيث تتدخل الكتل السياسية لتأجيل القضايا أو تبرئة المتهمين أو تخفيف العقوبات بحق «رجالها». كما أن بعض القضاة يترددون في إصدار أحكام قاسية بحق مسؤولين كبار خوفاً من الانتقام السياسي أو المساس بترقياتهم

ثانياً: غياب آليات استرداد الأموال المنهوبة: حتى عند صدور أحكام بالإدانة، تواجه العراق صعوبات كبيرة في استرداد الأموال المنهوبة (التي تقدر بمئات المليارات من الدولارات على مدى عقدين). الأموال غالباً ما تكون مودعة في حسابات مصرفية في سويسرا أو دبي أو تركيا أو لندن، واستردادها يتطلب تعاوناً قضائياً دولياً معقداً وبطيئاً. في عام ٢٠٢٥، على سبيل المثال، لم تسترد العراق سوى أقل من ٢٪ من الأموال التي حكم بها في قضايا فساد كبرى

ثالثاً: غياب الحماية للمبلغين والشهود: الكثير من قضايا الفساد لا تصل إلى مراحل متقدمة لأن المبلغين (موظفين أو مقاولين أو مواطنين) يخشون على حياتهم. جرائم قتل المبلغين في العراق ليست نادرة، والمتهمون الكبار يمتلكون ميليشيات وحراساً شخصيين وجهات أمنية موالية لهم. دون قانون «حماية الشهود والمبلغين» يتم تطبيقه بصرامة، ستظل معظم الإخبارات (أكثر من ٣٧ ألف إخبار) دون متابعة جادة

يكشف تحليل أرقام هيئة النزاهة لعام ٢٠٢٦ عن ثلاث حقائق قاسية

١. الكم لا يعادل النوع: ارتفاع عمليات الضبط من ١٠١ (في كانون الثاني) إلى ١٨١ (في نيسان) يعكس نشاطاً رقابياً متزايداً، لكنه لا يعكس تراجعاً في الفساد. بل قد يعني العكس: الفساد أصبح أكثر جرأة وانتشاراً

٢. نظام العدالة مرهق وغير قادر على الحسم: مع ٣١ ألف قضية مفتوحة و١٤,٦٠٠ أمر قبض غير منفذة بشكل كامل، فإن القضاء العراقي يعمل بأقل من طاقته المطلوبة بعشر مرات. هذا يعني أن متوسط زمن البت في قضية فساد يتجاوز ٥ سنوات، مما يجعل العقاب غير رادع

٣. غياب الإرادة السياسية العليا لضرب الفساد بنيوياً: أي معركة حقيقية ضد الفساد تتطلب أولاً «تجفيف منابعه» عبر إصلاح نظام المشتريات الحكومية، وإلغاء الاستثناءات غير القانونية، وتطبيق قانون الكسب غير المشروع بصرامة على كبار المسؤولين. لكن هذه الإجراءات تصطدم بمصالح الكتل السياسية الحاكمة التي تعتبر الفساد «وسيلة تمويل سياسي» و«أداة محاصصة»

عند مقارنة العراق بتجارب دولية ناجحة (مثل سنغافورة، رواندا، جورجيا بعد ثورة الوردتين)، نجد أن الفارق ليس في «قوانين مكافحة الفساد» (العراق يمتلك قوانين جيدة نظرياً)، بل في تطبيقها وفي القيادة السياسية التي تضع مكافحة الفساد كأولوية قصوى فوق كل الاعتبارات الحزبية والفئوية

تظل الأرقام الصادرة عن هيئة النزاهة مجرد «مؤشرات كمية» مثيرة للانتباه، لكنها لا تترجم إلى «نصر نوعي». طالما أن أوامر القبض لا تنفذ، والأموال لا تسترد، والقضايا تتقادم في أروقة المحاكم، فإن معركة مكافحة الفساد في العراق ستبقى «معركة بلا نهاية»، أو كما يصفها بعض المراقبين المحليين: «دورة مستمرة من الكشف دون حسم، توحي بالفاعلية لكنها لا تغير شيئاً جوهرياً»

المطلوب ليس المزيد من عمليات الضبط أو الإخبارات، بل حزمة إصلاحات متكاملة تشمل: فصل القضاء عن النفوذ السياسي، إنشاء محكمة متخصصة في الفساد الكبرى ذات استئناف محدود، تفعيل قانون حماية المبلغين، وإنشاء وحدة استرداد أموال عراقية تعمل بالتنسيق مع الإنتربول والبنك الدولي. بدون هذه الإصلاحات، ستبقى أرقام عام ٢٠٢٧ و٢٠٢٨ كما هي أرقام ٢٠٢٦: أرقاماً بلا نصر

لماذا تخنق أزمة التمويل المساعدات الغذائية لسوريا في وقت هي بأمس الحاجة إليها؟

في تطور إنساني خطير يحمل تداعيات سياسية واجتماعية عميقة، أعلنت الأمم المتحدة، عبر برنامج الأغذية العالمي (WFP)، عن تخفيض حاد في المساعدات الغذائية الطارئة المقدمة لسوريا بنسبة ٥٠٪، مع وقف كامل لبرنامج دعم الخبز الذي كان يشكل شبكة أمان لملايين السوريين. يأتي هذا القرار نتيجة عجز حاد في التمويل، وليس بسبب تحسن في الأوضاع الإنسانية أو تراجع في الاحتياجات، كما أكدت المسؤولة الأممية.

أعلن برنامج الأغذية العالمي (ومقره روما) في بيان رسمي اليوم أنه سيُقلص عدد المستفيدين من المساعدات الغذائية الطارئة في سوريا من ١,٣ مليون شخص إلى ٦٥٠ ألف شخص فقط، أي بنسبة خفض تبلغ ٥٠٪ بالضبط. إلى جانب التخفيض في المساعدات الطارئة، سيتم إيقاف برنامج دعم الخبز بالكامل. كان هذا البرنامج يدعم أكثر من ٣٠٠ مخبز في مختلف المناطق السورية عبر تزويدها بدقيق القمح المدعّم، مما ساهم في الحفاظ على سعر الخبز – وهو المادة الغذائية الأساسية في النظام الغذائي السوري – في متناول الفئات الأشد فقراً. وصف البيان الأممي هذا البرنامج بأنه «شريان حياة» (LIFELINE) بالنسبة لملايين السوريين، وإيقافه يعني أن أسعار الخبز في الأسواق الحرة (غير المدعومة) سترتفع بشكل حاد، مما سيخرج شريحة إضافية من السكان من دائرة الأمان الغذائي

صرّحت ماريان ورد، مديرة برنامج الأغذية العالمي في سوريا، بأن «تقليص المساعدات ناتج فقط عن نقص التمويل، وليس بسبب تراجع الاحتياجات». وأضافت: «هذه لحظة حاسمة بالنسبة إلى سوريا. فالتعافي لا يزال هشاً، والاحتياجات كبيرة، ونحن مضطرون إلى سحب شبكة أمان أساسية». هذا الإقرار الرسمي يحمل رسالة واضحة للمجتمع الدولي مفادها أن الالتزامات المالية لم يتم الوفاء بها، وأن الفجوة التمويلية تهدد حياة الملايين

ذكر البرنامج في بيانه أن سوريا شهدت «استقراراً نسبياً» منذ نهاية الحرب الأهلية (التي انتهت فعلياً بعد سقوط نظام الأسد في أواخر ٢٠٢٤ وتشكيل إدارة جديدة). لكن هذا الاستقرار، وفق المحللين، هو استقرار هش لا يزال يفتقر إلى مقومات التعافي الحقيقي: اقتصاد مدمر، بطالة تصل إلى ٥٠٪ في بعض المناطق، عملة محلية فقدت أكثر من ٩٠٪ من قيمتها، وبنية تحتية متهالكة. في ظل هذه الظروف، يكون السكان المدنيون معتمدين بشكل شبه كامل على المساعدات الدولية لتأمين احتياجاتهم الأساسية

تصنف سوريا اليوم ضمن أعلى خمس دول في العالم من حيث نسبة السكان الذين يعانون من انعدام الأمن الغذائي الشديد، إلى جانب اليمن وأفغانستان والصومال وجنوب السودان. الفارق أن سوريا كانت، قبل عام ٢٠١١، دولة ذات دخل متوسط ومصدرة للمنتجات الزراعية. الحرب التي استمرت ١٣ عاماً حولتها إلى حالة إنسانية نموذجية، والتراجع الحاد في المساعدات يهدد بجعل هذه الحالة مزمنة لا رجعة فيها

المفارقة الأكثر إيلاماً أن سوريا اليوم لم تعد ساحة حرب مفتوحة، ولم تعد تبث على شاشات التلفزة صور القصف والدمار. هذا «الصمت الإعلامي» جعلها خارج دائرة الضوء، وبالتالي خارج دائرة التبرعات. لكن الجوع لا يحتاج إلى كاميرات لينتشر. كما قالت مديرة البرنامج في سوريا: «هذه لحظة حاسمة». اللحظة الحاسمة تتطلب قرارات حاسمة: إما إنقاذ حياة ٦٥٠ ألف إنسان إضافي، أو تحمل مسؤولية التاريخ في تركهم يواجهون المجاعة وحدهم

مديرة التحرير
نجاة حسين الزغبي

هيئة التحرير
أنغام ابراهيم جميل- عمر جمعة حسين - محمد الشجيري

التصميم الفني
علي العجيلي

رئيس التحرير صبحي البدري
Mail: almpbadera@hmail.com

واشنطن وطهران على حافة الهاوية بين خيارات النصر الدبلوماسي والتصعيد العسكري

في ظل استمرار حالة الجمود التي تكتنف مسار المفاوضات غير المباشرة بين واشنطن وطهران، تظل كافة السيناريوهات المطروحة مفتوحة على الاحتمالات كافة. يأتي هذا الترقب المتزايد بالتزامن مع انتهاء المهلة الزمنية المحددة بستين يوماً، المنصوص عليها في قانون صلاحيات الحرب الأميركي، وهو ما يضع إدارة الرئيس دونالد ترامب أمام منعطف سياسي وعسكري بالغ الحساسية حتى اللحظة الراهنة، لم تتبلور أي مخارج واضحة للأزمة القائمة، إذ تتمسك طهران بثبات بشروطها التفاوضية رغم إبدائها مقترحات معينة، بينما تواصل واشنطن رفع سقف مطالبها. هذا التجاذب يعكس حالة من التصلب المتبادل في المواقف، مما يؤدي إلى تعميق حالة الانسداد السياسي وتقليص هامش المناورة الدبلوماسية

منذ اندلاع العمليات العسكرية في ٢٨ شباط (فبراير) ٢٠٢٦، لم يتمكن أي من الطرفين من حسم الصراع لصالحه، سواء على الصعيد العسكري الميداني أو الدبلوماسي. فرغم أن الضربات الأميركية أسفرت عن تصفية قيادات إيرانية كبرى، في مقدمتهم المرشد الأعلى علي خامنئي، إلا أن الأهداف الاستراتيجية التي رسمتها واشنطن لم تتحقق بعد بالكامل. في المقابل، لا تزال إيران تحتفظ بأوراق ضغط مؤثرة، أبرزها سيطرتها على الملاحة في مضيق هرمز، بالإضافة إلى نفوذها الإقليمي العميق وقدرتها على تحريك حلفائها في المنطقة

تشير تقارير أجنبية إلى عقد اجتماعات رفيعة المستوى في البنتاغون لبحث سيناريوهات إنهاء الحرب بما يحقق «نصراً» استراتيجياً، وهو أمر قد لا يتأتى - وفق هذه التقارير - إلا عبر استئناف العمليات العسكرية. في هذا السياق، قدم قائد القيادة المركزية الأميركية (سنتكوم)، الأدميرال براد كوبر، إحاطة شاملة للرئيس ترامب تضمنت خيارات عسكرية تهدف إلى «كسر الجمود» المفاوضاتي، مما يعكس اتجاهاً متزايداً نحو خيار التصعيد. هذا التوجه يضع الإدارة الأميركية أمام أزمة متعددة الأبعاد (داخلياً ودولياً)، خاصة في ظل العقيدة السياسية للتيار الجمهوري التي تؤمن بضرورة تحقيق «النصر» المُعلن، مما يجعل الخروج من الحرب دون نتائج ملموسة مكلفاً سياسياً

في المقابل، أعلن مقر «خاتم الأنبياء» الإيراني جاهزيته القتالية الكاملة، مع وضع بنك أهداف محدد مسبقاً، والاستعداد لمواجهة سيناريوهات أكثر تعقيداً تشمل المواجهات البرية. هذا الاستعراض للقدرة على الردع لا يمنع طهران من مواصلة طرح مبادرات تفاوضية، وهو ما يُفسر على أنه محاولة لكسب الوقت اللازم لإعادة ترتيب قدراتها العسكرية وتعزيز موقعها التفاوضي

على المستوى العملياتي، أفادت مصادر ملاحية وعسكرية بوجود جسر جوي أميركي ضخم متجه نحو منطقة الخليج العربي، في مؤشر واضح على تعزيز الانتشار العسكري. رصدت بيانات منصتي «فلايت رادار ٢٤» و«إيه دي إس بي إكستشينج» خلال ٤٨ ساعة حتى ٣٠ نيسان (إبريل) استمرار تدفق طائرات الشحن العسكري الأميركية من ألمانيا، بإجمالي لا يقل عن ٣٠ رحلة، غالبيتها من طراز «بوينغ سي-١٧ إيه غلوب ماستر ٣» الثقيلة، إلى جانب طائرة «لوكهيد مارتن سي-١٣٠ جي-٣٠ هيركوليز». ورغم عدم الكشف عن طبيعة الشحنات، فإن حجم الطائرات وتكرار الرحلات في فترة قصيرة يحمل دلالات عملياتية كبيرة

هذه التحركات تأتي بعد أقل من ٢٤ ساعة من إعلان وزارة الدفاع الإسرائيلية عن تسلمها شحنات عسكرية أميركية مكثفة بلغت نحو ٦٥٠٠ طن من الذخائر والمعدات في يوم واحد، ليصل إجمالي الدعم الأميركي لإسرائيل منذ اندلاع الحرب إلى نحو ١١٥,٦٠٠ طن، نُقلت عبر ٤٠٣ رحلات جوية و١٠ رحلات بحرية. يرى مراقبون أن هذا الدعم اللوجستي الضخم يُعد عاملاً محورياً في استمرار العمليات واتساع رقعة الصراع

يترقب العالم ما ستسفر عنه هذه اللحظة الحرجة، حيث تتجه الأنظار نحو واشنطن: هل ستلجأ إلى خيار التصعيد العسكري لكسر الجمود وتحقيق «النصر» المطلوب، أم أن المسار الدبلوماسي سيُمنح فرصة أخيرة لإنقاذ الموقف قبل الانزلاق إلى مواجهة إقليمية شاملة

صراع الأجيال القادمة: لماذا تتجه واشنطن وطهران نحو حرب استنزاف مفتوحة

في تحليل معمق نشره الكاتب والمحلل السياسي المخضرم مايكل هيرش في مجلة «فورين بوليسي» (FOREIGN POLICY) المرموقة، يطرح رؤية مفادها أن الولايات المتحدة وإيران تقفان على أعتاب مرحلة جديدة من المواجهة، قد لا تكون مجرد حرب تقليدية محدودة، بل صراعاً طويل الأمد ومفتوحاً. يستند هيرش في تحليله إلى عاملين رئيسيين: أولاً، تشدد القيادة الإيرانية الجديدة التي يهيمن عليها قادة الحرس الثوري المخضرمون، وثانياً، فشل واشنطن المتراكم في بلورة مسار تفاوضي مستقر وواضح المعالم منذ انسحاب ترامب من الاتفاق النووي عام ٢٠١٨. هذا التحليل يأتي في وقت حساس، حيث تتجاوز الحرب الأميركية - الإيرانية المباشرة شهرها الثالث، دون أفق سياسي واضح

يشير هيرش إلى أن الديناميكيات الداخلية في كل من طهران وواشنطن تغيرت بشكل جذري مقارنة بفترة المفاوضات النووية (٢٠١٣-٢٠١٥). ففي الجانب الإيراني، لم يعد التيار الإصلاحي الذي كان يمثله الرئيس الأسبق حسن روحاني ووزير خارجيته محمد جواد ظريف قادراً على التأثير في صنع القرار. وقد حل محله جيل جديد من القادة العسكريين - السياسيين الذين نشأوا في رحاب الحرب الإيرانية - العراقية (١٩٨٠-١٩٨٨)، ويتزعمهم شخصيات مثل محسن رضائي (الأمين العام السابق لمجمع تشخيص مصلحة النظام والقائد السابق للحرس الثوري). هؤلاء يعتبرون أن «الصبر الاستراتيجي» الذي ميز سياسة إيران خلال العقدين الماضيين لم يؤد إلا إلى خسائر متراكمة، وأن الوقت قد حان لتبني «الردع الهجومي» بدلاً من «المرونة الدفاعية»

من المفارقات اللافتة التي يبرزها التحليل، أن الضربات العسكرية الأميركية والإسرائيلية المكثفة ضد مواقع إيرانية (خاصة منذ شباط/فبراير ٢٠٢٦) لم تؤد إلى إضعاف الحرس الثوري كما كانت تأمل واشنطن، بل عززت شرعيته الداخلية وهيمنته على مفاصل الدولة. ففي أعقاب الحرب، تم تعيين قيادات من الحرس الثوري في مناصب مدنية رئيسية، بما في ذلك حكام محافظات استراتيجية في محافظة خوزستان الغنية بالنفط ومنطقة سيستان وبلوشستان المتاخمة لباكستان. كما أن تدفق التبرعات الشعبية لقوات «باسداران» (الحرس الثوري) ارتفع بنسبة تقديرية ٤٠٪ خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب، وفق مصادر غير رسمية، مما يعكس تحول المشاعر الوطنية الإيرانية نحو تأييد الصمود العسكري

يرى هيرش أن إيران اليوم تمتلك ما يمكن تسميته «القوة المعيقة» (ASYMMETRIC DETERRENCE) بشكل لم يسبق له مثيل. أبرز هذه الأوراق هي السيطرة غير المباشرة على مضيق هرمز، الذي يمر عبره حوالي ٢٠٪ من النفط الخام العالمي و٣٠٪ من الغاز الطبيعي المسال. ورغم أن الولايات المتحدة تعزز وجودها البحري في المنطقة، إلا أن القدرة الإيرانية على استهداف ناقلات النفط باستخدام الزوارق السريعة والألغام البحرية والصواريخ المضادة للسفن (بما في ذلك صواريخ «خليج فارس» الباليستية المضادة للسفن) تظل تهديداً وجودياً للاقتصاد العالمي

يحلل الكاتب ما أسماه «فجوة الفهم الاستراتيجي» بين صانعي القرار في واشنطن والقيادة الإيرانية الحالية. فمعظم الخبراء الأميركيين الذين صاغوا سياسة «الضغط الأقصى» انطلقوا من فرضية أن العقوبات والعزلة ستجبر إيران على العودة إلى طاولة المفاوضات من موقع ضعف. لكن ما حدث هو العكس تماماً. القيادة الإيرانية الجديدة، التي يقودها «المخضرمون» الذين خاضوا حرباً مدمرة استمرت ثماني سنوات ضد العراق (بدعم غربي آنذاك)، لديها قدرة عالية على تحمل الخسائر البشرية والمادية. وهم يراهنون على أن «صبر طهران أطول من صبر ترامب»، خاصة مع اقتراب نهاية ولاية ترامب الثانية في كانون الثاني (يناير) ٢٠٢٩، واحتمال وصول إدارة ديمقراطية قد تتبنى نهجاً مختلفاً

يستشهد هيرش بتصريح غير معلن لأحد كبار مستشاري المرشد الخلف (علي خامنئي - قبل مقتله) مفاده: «نحن شعب تعود على الألم لأربعين عاماً. أما الأميركيون فلا يتحملون حتى ارتفاع سعر البنزين لثلاثة أسابيع»

يخلص هيرش إلى أنه في ظل هذه المعطيات، فإن الولايات المتحدة تتجه لا إرادياً نحو «حرب طويلة الأمد» مع إيران، ليس بالمعنى الكلاسيكي لحرب الخنادق، بل بحرب استنزاف غير متماثلة تشمل

- الهجمات السيبرانية المتبادلة (استهداف البنية التحتية النفطية والموانئ)
- الحرب عبر الوكلاء (الميليشيات الموالية لإيران في العراق وسوريا ولبنان واليمن ضد المصالح الأميركية والإسرائيلية)
- المواجهات البحرية المحدودة في الخليج العربي وبحر العرب
- الحرب الاقتصادية عبر العقوبات الثانوية التي تطال أي طرف يتعامل مع إيران

هذا النمط من الصراع لا يقدم «نصراً حاسماً» لأي طرف، لكنه يستنزف الموارد الأميركية (العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية) بشكل مطرد، بينما تظل إيران قادرة على البقاء بفضل اقتصاد المقاومة واكتفائها الذاتي النسبي

في قراءة مستقبلية، يرى هيرش أن المخرج الوحيد من هذا المسار التصادمي قد لا يأتي من واشنطن أو طهران مباشرة، بل من ضغوط خارجية (مثل الصين والاتحاد الأوروبي ودول الخليج) التي تتضرر بشدة من استمرار الحرب وارتفاع أسعار الطاقة. ربما تكون بكين، التي تستورد كميات كبيرة من النفط الإيراني المخفض، في موقع يسمح لها بدفع الطرفين نحو «هدنة إجبارية». لكن حتى ذلك الحين، يبدو أن عبارة «لا نصر ولا هزيمة» التي أطلقت على حرب فيتنام قد تعود إلى الواجهة في سياق الخليج العربي

الولايات المتحدة تواجه اليوم إيران مختلفة تماماً عن إيران عام ٢٠١٥. إنها إيران أكثر تشدداً وأكثر ثقة بقدرتها على تحمل الألم، وأكثر إيماناً بأن الاستراتيجية الأميركية تقوم على إطالة أمد الصراع حتى يكل الخصم. وفي هذا السباق، يبدو أن «صبر طهران» هو الرهان الأقوى حتى اللحظة

زيارة ترامب لبكين بين فخ تايوان وإغراء الصفقات وإرث الحرب

تمثل زيارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى بكين، الأولى لرئيس أميركي منذ سبع سنوات (٢٠١٧-٢٠٢٦)، منعطفاً حرجاً في مسار العلاقات الثنائية بين أكبر قوتين اقتصاديتين وعسكريتين في العالم. تأتي القمة في لحظة تشهد فيها الساحة الدولية انزياحاً نحو مزيد من التفتت الجيوسياسي، مع حرب إقليمية مشتعلة في الخليج العربي، وسباق تكنولوجي محموم حول الهيمنة على الذكاء الاصطناعي، وتصاعد لهجة المواجهة حول تايوان. اختيار ترامب لمرافقيه من كبار المديرين التنفيذيين لشركات «إنفيديا» و«تيسلا» و«آبل» يكشف عن أولوية واضحة للبعد الاقتصادي، لكنه في الوقت نفسه يضع هذه الشركات في قلب عاصفة جيوسياسية قد تعيد تعريف قواعد اللعبة العالمية

هذه الزيارة ليست فقط الأولى له منذ ولايته الأولى عام ٢٠١٧، بل إنها تجسد تحولاً في فلسفة الدبلوماسية الأميركية تجاه الصين، من منهج «الفصل الاستراتيجي» الذي تبنته إدارة بايدن (٢٠٢١-٢٠٢٥) إلى منهج «الربط التنافسي» الذي

يعيد ترامب إحياءه. وقد تأجلت الزيارة التي كانت مقررة في آذار (مارس) ٢٠٢٦ بسبب اندلاع الحرب الأميركية - الإيرانية، مما يشير إلى أن واشنطن كانت تنتظر لحظة تتيح لها التفاوض من موقع قوة نسبية، سواء عبر الميدان أو العقوبات

يذكر أن آخر قمة رئاسية أميركية - صينية عقدت في واشنطن في تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٢٥ على هامش قمة مجموعة العشرين، لكنها لم تسفر عن أي اختراق، بل عززت قناعات الجانبين بعدم جدوى الحوار دون ضغط ميداني واقتصادي

في لفتة غير مسبوقة من حيث التوقيت، صعد إلى الطائرة الرئاسية أثناء توقفها في قاعدة إلمندورف - ريتشاردسون الجوية في ألاسكا، جنسن هوانغ، المؤسس والرئيس التنفيذي لشركة «إنفيديا»، التي تبلغ قيمتها السوقية نحو ٢,٥ تريليون دولار، وتعد عماد صناعة رقائق الذكاء الاصطناعي عالمياً. يحظر على الصين حالياً بموجب قواعد وزارة التجارة الأميركية استيراد رقائق إنفيديا المتطورة من فئة H١٠٠ وB٢٠٠، وهو حظر تبرره واشنطن بـ«حماية الأمن القومي» ومنع وصول تقنيات حساسة إلى جيش التحرير الشعبي الصيني

الملفات الشائكة على طاولة القمة:

الملف الأول: التجارة والتكنولوجيا (فخ ثوسيديدس الرقمي)

تدير الصين فائضاً تجارياً مع الولايات المتحدة بلغ عام ٢٠٢٥ نحو ٣٨٢ مليار دولار، وهو رقم يرفض ترامب قبوله. من المتوقع أن يطرح الرئيس الأميركي حزمة جديدة من الرسوم الجمركية الانتقامية على السلع الصينية في حال عدم تحقيق تقدم في خفض العجز. لكن المفارقة أن الصين أصبحت اليوم أقل اعتماداً على السوق الأميركية مما كانت عليه عام ٢٠١٧، بفضل مبادرة «الحزام والطريق» واتفاقية RCEP (الشراكة الاقتصادية الإقليمية الشاملة) التي عززت التجارة داخل آسيا

الملف الثاني: الحرب في إيران وتداعياتها على أمن الطاقة الصيني

الصين هي أكبر مستورد للنفط الخام من إيران (نحو ١,٢ مليون برميل يومياً قبل الحرب). ورغم أن بكين تعلن حيادها، فإنها استمرت في شراء النفط الإيراني عبر آليات مقايضة ومنصات مالية بديلة (مثل نظام CIPS الصيني). ترامب يريد من شي جينبينغ التوقف عن هذا الدعم الاقتصادي غير المباشر لإيران، في مقابل وعود أميركية بعدم استهداف المصالح الصينية في الخليج. لكن بكين تنظر إلى طهران كشريك استراتيجي في محور «تحدي الهيمنة الأحادية»، مما يجعل التنازل عنها مكلفاً سياسياً

الملف الثالث: تايوان – الخط الأحمر النووي:

تظل قضية تايوان الأخطر. في الأشهر الستة الماضية، كثفت إدارة ترامب مبيعات الأسلحة إلى تايبيه، بما في ذلك أنظمة دفاع جوي بعيدة المدى، في حين أجرى جيش التحرير الشعبي الصيني مناورات «الجزيرة المحاصرة» مرتين في مضيق تايوان. التوقعات تشير إلى أن ترامب سيعيد التأكيد على «سياسة الغموض الاستراتيجي» (عدم الوعد بالتدخل العسكري بشكل قاطع، وعدم نفي ذلك)، بينما سيطلب شي جينبينغ من ترامب الالتزام الصارم بمبدأ الصين الواحدة وعدم دعم استقلال تايوان بحكم الواقع. أي خرق لهذا التوازن قد يؤدي إلى أزمة غير مسبوقة

سيناريوهات القمة المتوقعة:

- السيناريو الأول (الأكثر ترجيحاً ٥٠٪): إعلان «شكل من أشكال الشراكة الاقتصادية الجديدة» مع تجنب التصريحات القوية حول تايوان وإيران. توافق ضمني على تخفيف قيود الرقائق مقابل زيادة الصين لمشترياتها من السلع الزراعية والطاقة الأميركية، مع تأجيل القضايا الخلافية إلى قمم لاحقة

- السيناريو الثاني (احتمال ٣٠٪): فشل نسبي – بيان ختامي ضبابي، انسحاب ترامب المبكر من بكين دون توقيع أي اتفاقيات، ثم تصعيد لاحق عبر رسوم جمركية جديدة على السلع الصينية، مما قد يؤدي إلى حرب تجارية ثانية

- السيناريو الثالث (احتمال ١٥٪): اختراق غير متوقع – اتفاق مبدئي حول خفض التوتر في مضيق تايوان مقابل تجميد الصين لمشترياتها النفطية من إيران لمدة ٩٠ يوماً، مع إعلان مشترك حول «مبادئ المنافسة المسؤولة في مجال الذكاء الاصطناعي»

- السيناريو الرابع (احتمال ٥٪ فقط – لكنه الأخطر): انهيار كامل للمفاوضات، واتهامات متبادلة بالخيانة، ثم تزامنه مع حادثة عسكرية في بحر الصين الجنوبي خلال أيام من القمة

تمثل زيارة ترامب لبكين حالة كلاسيكية من «معضلة الأمن والازدهار» في العلاقات الدولية الكبرى. فبينما تحتاج واشنطن إلى الأسواق الصينية وسلاسل التوريد الصينية للحفاظ على نموها، وهي في حاجة أيضاً إلى التعاون الصيني لاحتواء التداعيات الثانوية لحرب إيران (مثل ارتفاع أسعار النفط وعدم استقرار مضيق هرمز)، فإن بكين من جهتها تسعى إلى تأمين فضاء تكنولوجياً وتجارياً يسمح لها بتجاوز «فخ الدخل المتوسط» وتحقيق الهدف ٢٠٤٩ (مئوية تأسيس الجمهورية)

في النهاية، ستبقى عيون العالم مسلطة على قاعة الاجتماعات في قاعة الشعب الكبرى في بكين. النصر الحقيقي لأي من الطرفين لن يُقاس بعدد الاتفاقيات الموقعة، بل بقدرتهما على تجنب تحويل المحيط الهادئ إلى مسرح لحرب باردة جديدة، أو ساخنة قد تكون الأخطر منذ كوبا ١٩٦٢.

العراق بين مطرقة الحرب ونار الأسعار وسندان الريع النفطي

عباس كامل

يمثل الاقتصاد العراقي حالة فريدة من الهشاشة البنيوية في المنطقة، حيث يعتمد على النفط بنسبة تصل إلى ٩٧٪ من إيرادات الموازنة العامة. هذا الاعتماد شبه المطلق يجعل العراق عرضة بشكل خطير لأي اضطراب جيوسياسي أو هبوط في أسعار النفط. وقد أدى اندلاع الحرب الأمريكية على إيران في أوائل عام ٢٠٢٦ إلى سلسلة من التداعيات الاقتصادية العميقة، تمثلت في ارتفاع أسعار النفط بشكل كبير ثم تذبذبها، وأزمة مالية وشيكة، وتوقف شبه كلي لجهود التنويع الاقتصادي التي كانت في بداياتها

الاقتصاد العراقي في عين العاصفة – تأثير الحرب على إيران

شنَّت الولايات المتحدة وإسرائيل ضربات عسكرية على إيران في ٢٨ فبراير/شباط ٢٠٢٦، وما تلاها من ردود إيرانية أدى إلى تداعيات اقتصادية عالمية وإقليمية عميقة. بالنسبة للعراق، كان التأثير الأكثر فورية هو الارتفاع الحاد في أسعار النفط. فقد قفز سعر البرميل من نحو ٧٥ دولاراً قبل اندلاع الحرب إلى أكثر من ١٠٦ دولارات في خضم العمليات العسكرية، مع تذبذب حاد تبعاً لتطورات الميدان وتصريحات الأطراف المتحاربة

من الناحية النظرية، يُفترض أن يكون هذا الارتفاع في الأسعار «نعمة» لبلد يعتمد ميزانيته على تصدير النفط الخام. فكل دولار إضافي في سعر البرميل يعني مليارات الإيرادات الإضافية التي قد تُستخدم في التنمية أو سداد الديون أو بناء الاحتياطيات. لكن في حالة العراق، يتحول هذا «المنحى الإيجابي» إلى مصيدة بامتياز. فبدلاً من استثمار الفوائض المالية الطارئة في بناء اقتصاد منتج ومتنوع، تذهب الغالبية العظمى منها إلى تغطية النفقات الجارية (رواتب الموظفين الهائلة، الدعم الاستهلاكي، فواتير الاستيراد). والأخطر أن هذه الارتفاعات الطارئة تعزز «وهم الوفرة»، وتؤجل اتخاذ القرارات الصعبة المتعلقة بالإصلاح الاقتصادي وتنويع مصادر الدخل. وفي اللحظة التي تنتهي فيها الحرب أو تهدأ وتنخفض الأسعار مرة أخرى، يعود العراق ليواجه ذات العجز والهشاشة ذاتها، بل ومضاعفة

الأثر الأعمق والأخطر للحرب لا يكمن فقط في ارتفاع الأسعار، بل في اضطراب الإمدادات نفسها. من المتوقع أن يؤدي استمرار الحرب إلى تعطيل كامل أو جزئي لصادرات النفط من المنطقة، بما فيها صادرات العراق. وأي توقف أو تقليص كبير في تدفق النفط الخام سيترجم مباشرة إلى انقطاع حاد في تدفق العملة الصعبة إلى خزينة الدولة، وهو ما سينعكس سلباً وبشكل فوري على قدرة الحكومة على الوفاء بالتزاماتها المالية الداخلية والخارجية

كما أن الحرب تكشف عن هشاشة لوجستية كبرى. العراق يفتقد أسطولاً وطنياً من ناقلات النفط ويعتمد بالكامل على الشركات الأجنبية في نقل صادراته، مما يجعله رهينة لقرارات شركات التأمين والممرات المائية الآمنة في زمن الحرب. في هذا المعنى، يتحول العراق من دولة مصدرة كبرى إلى اقتصاد مكشوف بالكامل أمام الجغرافيا، بدون بدائل لوجستية حقيقية لتصدير نفطه إذا ما تعطلت الممرات المعتادة

أظهرت بيانات صندوق النقد الدولي أن الاقتصاد العراقي سجل انكماشاً بنسبة ٦,٨٪ في عام ٢٠٢٦، في تراجع حاد من نمو بلغ ٣,١٪ في ٢٠٢٥. وهذا التراجع يعكس بشكل كبير حالة عدم اليقين المرتبطة بالحرب وتداعياتها. إلى جانب ذلك، يتوقع صندوق النقد أن يسجل العراق عجزاً في الحساب الجاري بنسبة ٠,٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي في عام ٢٠٢٦، متراجعاً من فائض بلغ ٣٪ في ٢٠٢٤.

معنى ذلك، بكل بساطة، أن الدولة تنفق أكثر مما تكسب من النفط (الذي يُشكل ٩٧٪ من دخلها)، وتستنزف احتياطياتها النقدية أو تتراكم الديون لسد هذا العجز. وفي بيئة حربية مضطربة، يصبح الاقتراض الخارجي إما مستحيلاً أو بفوائد مرتفعة جداً. وهكذا تجد الحكومة العراقية نفسها محاصرة بين مطرقة تراجع الإيرادات بسبب اضطراب الصادرات، وسندان زيادة النفقات بسبب تداعيات الحرب (نزوح، تدمير بنى تحتية، حاجة لتعزيز الأمن)

ما تمر به الحرب الأمريكية-الإيرانية ليس سوى كاشف فوتوغرافي للتباين الصارخ بين إمكانيات العراق

الطبيعية الهائلة (ثروة نفطية، أرض خصبة، موقع جيوسياسي استراتيجي، مياه) وهشاشته الاقتصادية الخارقة. العراق ليس فقيراً، لكن اقتصاده معطل. والحل ليس التفكير في عالم ما بعد الحرب، بل في العراق ما بعد النفط الأحادي

الخروج من حالة «المجتمع الاستهلاكي» والدولة الريعية إلى «مجتمع منتج» هو تحدٍ ربما صعب لكنه ممكن. يستند إلى محورين متكاملين. التنويع الاقتصادي الفعلي من جهة، والإصلاحات الهيكلية في الحوكمة ومكافحة الفساد من جهة أخرى. الحلول المُقترحة أدناه ليست نظرية، بل مبنيّة على تجارب دول نجحت في فطام نفسها عن الريع، وعلى الإمكانيات المتاحة في العراق وللنهوض بالاقتصاد العراقي ثمة الكثير من الآليات والحلول التي يمكن اتباعها. ولعل أهمها هي

- تحويل المصافي والمعامل المتوقفة إلى وحدات إنتاجية: ليس بالاعتماد على الموازنة العامة، بل عبر شراكات بين القطاعين العام والخاص، تُقدّم حوافز للمستثمرين المحليين والدوليين لتشغيل هذه المصانع مقابل حصة من الأرباح

- الصناعات التحويلية المرتبطة بالنفط: بدل تصدير النفط الخام، تطوير صناعات تكرير النفط، والبتروكيماويات، والأسمدة. الهدف هو تحويل جزء متزايد من النفط المُنتج إلى منتجات نهائية ذات قيمة مضافة أعلى

- الصناعات الغذائية والنسيجية والإسمنتية: استغلال المواد الأولية المتوفرة محلياً لصناعات تخدم السوق المحلي وتُصدَّر في مرحلة لاحقة

- التكامل مع الدول المجاورة: إنشاء مناطق صناعية حرة على الحدود مع إيران وتركيا والكويت والسعودية، لتكون مراكز إقليمية للتصنيع والتوزيع

وكشفت الحرب عن نقطة ضعف أخرى، وهي الاعتماد شبه الكامل على النفط حتى لتوليد الكهرباء. الطاقة المتجددة ليست رفاهية بيئية، بل ضرورة اقتصادية واستراتيجية

يبدو أن العراق قد بدأ يتحرك ببطء في هذا الاتجاه. في مايو ٢٠٢٥، أطلق أول مجمع سكني مستقل بالكامل يعمل بالطاقة الشمسية، بالتزامن مع افتتاح محطة طاقة شمسية في القصر الحكومي بالعاصمة. وفي يونيو ٢٠٢٥، وقّعت وزارة الكهرباء اتفاقية ضخمة مع شركة أميركية بريطانية لتنفيذ مشروع طاقة شمسية بقدرة ٣٠٠٠ ميغاواط، في واحدة من أكبر صفقات الطاقة المتجددة في المنطقة. كما أعلنت الحكومة عن تخصيص ١٠٠ قطعة أرض لتنفيذ مشاريع طاقة شمسية، ضمن خطة لرفع إنتاج الطاقة الشمسية إلى ١٢ ألف ميغاواط

لكن هذه المشاريع، وإن كانت واعدة، ما تزال محدودة بالمقارنة مع الاحتياج الهائل. التوسع في الطاقة المتجددة سيحقق أهدافاً عدة: تخفيف الاعتماد على الغاز والنفط في توليد الكهرباء (مما يحرر المزيد من النفط للتصدير)، خلق فرص عمل جديدة، وجذب استثمارات أجنبية

بكل تأكيد أن الإصلاحات الهيكلية من أهم الشروط لنجاح أي خطة تنويع. ولن تنجح أي خطة تنويع دون حزمة إصلاحات جذرية تعالج التشوّهات البنيوية. هذه الإصلاحات هي الأصعب سياسياً، لكنها الأكثر تأثيراً

أولاً – مكافحة الفساد بآليات رادعة: الفساد منهجي في العراق، وهو عدو التنويع الاقتصادي الأول. يجب تحويل مكافحة الفساد من مجرد خطابات إعلامية إلى برنامج ذي آليات واضحة: هيئات مستقلة للرقابة، قوانين تجريم قوية تطال كبار المسؤولين، حماية للمبلغين عن الفساد، وشفافية كاملة في عقود المشاريع الحكومية. بدون هذا، سيُسرق كل دولار يُستثمر في الزراعة أو الصناعة

ثانياً – إصلاح منظومة الدعم الحكومي: نظام الدعم الحالي (دعم الطاقة والمواد الغذائية والأراضي) مكلّف جداً وغير مستهدف، ويذهب معظمه فعلياً للمستهلكين الأكثر ثراءً وأصحاب المصالح. إعادة هيكلة الدعم ليكون نقدياً ومستهدفاً للأسر الأشد فقراً سيوفر مليارات الدولارات سنوياً يمكن توجيهها للاستثمار الإنتاجي

ثالثاً – تحسين بيئة الأعمال وجذب الاستثمار الأجنبي المباشر: العراق يُصنف من بين أسوأ بيئات الأعمال في العالم بسبب البيروقراطية، غياب حماية حقوق الملكية، ضعف النظام القضائي، وعدم استقرار القوانين. معالجة هذه العوائق ستجذب الاستثمار المباشر الذي يحتاجه القطاع الخاص ليقود عملية التنويع

رابعاً – تطوير رأس المال البشري: إصلاح نظام التعليم والتدريب المهني ليتوافق مع احتياجات الاقتصاد المُتنوع (زراعة حديثة، صناعات تحويلية، تكنولوجيا معلومات). الاستثمار في التعليم التقني والمهني هو الضمانة الوحيدة لتوفير يدي عاملة قادرة على تشغيل المشاريع الجديدة

العراق ليس مجرد نفط

الورقة الأهم التي يجب على كل مسؤول عراقي وخبير اقتصادي وسياسي أن يقرأها بتمعن اليوم، هي أن العراق ليس محض حقول نفط، بل هو أرض زراعية خصبة، وموقع لوجستي استراتيجي، ويد عاملة ماهرة متعطشة للفرص، ومقومات سياحية وتاريخية وثقافية هائلة تستحق الاستثمار

الحرب الأمريكية-الإيرانية الحالية، رغم قسوتها وعمق تداعياتها، قد تكون آخر جرس إنذار قبل فوات الأوان. يمكن استغلال هذه الأزمة من بين كل الأزمات السابقة لبناء إجماع وطني وإقليمي على بدائل حقيقية. زراعة تنتج غذاء آمن، صناعة تحقق قيمة مضافة، سياحة تُبرز عمق الحضارة، وطاقة متجددة تضمن الاستدامة البديل ليس نظرياً أو صعب التحقيق، لكنه يتطلب إرادة استثنائية لمواجهة مصالح الفساد الراسخة وكسر سلاسل الريع النفطي. إذا نجح العراق في اجتياز هذا الاختبار، فلن يكون قد نجا من أزمة حرب عابرة فحسب، بل سيصنع لأبنائه مستقبلاً اقتصادياً مستقلاً بذاته، غير مرهون بتقلبات الأسواق أو نيران الحروب. وإذا فشل، فسيظل أسير حلقة مفرغة من أزمات متكررة، يدفع ثمنها جيل بعد جيل. الخيار بين يدي الدولة العراقية. والخيارات، في نهاية المطاف، تصنع التاريخ

كيف يمكن حثّ الحكومة العراقية على الاهتمام بالبيئة؟

عزيز محمد

يمثل الوضع البيئي في العراق حالة فريدة من نوعها في المنطقة: أزمة بيئية متعددة الأبعاد (هوائية، مائية، زراعية) تتفاقم في ظل نظام حوكمة يعاني من ضعف بنيوي وفساد مستشري. سنحلل آليات الضغط والمساءلة التي يمكن من خلالها حث الحكومات العراقية المتعاقبة - رغم ضعفها - على تبني سياسات بيئية حد أدنى، مركزاً على ثلاثة محاور: خفض الانبعاثات الدخانية، التشجير، والإدارة المائية. وسنخلص إلى أن حل المعضلة البيئية في العراق يمر عبر تحويل القضايا البيئية من «رفاهية تنموية» إلى «تهديد أمني واقتصادي واجتماعي» يستدعي الاستجابة، مع استغلال نقاط ضعف النظام السياسي نفسها (كاللامركزية الفعلية، التنافس السياسي، والضغوط الدولية) كأدوات للضغط

منذ أكثر من عقدين، يعيش العراق حالة من «الدولة الضعيفة» بكل مقاييس العلوم السياسية: مؤسسات هشة، قوانين غير نافذة، فساد جهازي، وأولوية مطلقة للملفات الأمنية والطائفية والسياسية على حساب التنمية. في هذا السياق، تُصنَّف القضايا البيئية عادة في قاع سلم الأولويات الحكومية. التلوث الهوائي في بغداد والبصرة يصل إلى مستويات خطيرة (تتجاوز أحياناً ١٠ أضعاف الحدود الآمنة لمنظمة الصحة العالمية)، وانبعاثات الغاز المصاحب في حقول النفط تُحرق دون معالجة، والغطاء النباتي يتقلص سنوياً، بينما تتفاقم أزمة شح المياه بسبب السياسات المائية التركية والإيرانية وإهمال البنى التحتية العراقية

السؤال المركزي: كيف تحدث تغييراً في نظام لا يريد أن يتغير، ولا يعاقب على تقصيره؟

أولاً: تشخيص الشلل الحكومي - لماذا تهمل الحكومات العراقية البيئة؟

لفهم آليات التأثير، يجب أولاً فهم أسباب الإهمال:

١. أولوية البقاء السياسي: الحكومات العراقية - خاصة بعد ٢٠٠٣ - منشغلة بالحفاظ على التوازنات الطائفية والسياسية الهشة. قضايا كالخدمات الأساسية والأمن تتصدر الأولويات؛ البيئة تُعتبر «قضية طويلة الأمد» لا تمنح نقاطاً سياسية سريعة

٢. الفساد كحاجز منهجي: ملفات البيئة متصلة بعقود ضخمة (معالجة الغازات، محطات التنقية، مشاريع التشجير) وهي أرض خصبة للرشاوى والعمولات. الإبقاء على الوضع القائم يخدم شبكات المصالح التي تستفيد من استيراد المولدات الكهربائية الملوثة، أو من عدم تطبيق معايير الانبعاثات على المصانع

٣. غياب الضغط الشعبي المنظم: غياب مجتمع مدني قوي ومتخصص في البيئة، وضعف الثقافة البيئية المواطنية، يجعل تكلفة الإهمال البيئي على الحكومات شبه معدومة انتخابياً

٤. تداخل الصلاحيات: البيئة تتوزع بين وزارات (الصحة، النفط، الموارد المائية، الزراعة، البلديات) دون تنسيق، ودون جهة رقابية عليا ذات سلطة حقيقية

ثانياً: تحويل البيئة من قضية تقنية إلى قضية أمنية واقتصادية

الطريق الأكثر فاعلية لحث حكومة ضعيفة على التحرك هو إعادة صياغة المشكلة البيئية بلغة تهديد مباشر لـ«البقاء السياسي» نفسه. ليس لأن الحكومات تريد الخير للشعب، بل لأنها لا تريد أن تفقد ما تبقى من شرعيتها

أ. الربط بين التلوث الهوائي والصحة العامة والأزمة الاقتصادية

الدخان الأسود المنبعث من محطات الطاقة والمصافي والمعامل يسبب أمراضاً تنفسية وسرطانية تثقل كاهل نظام صحي منهك أصلاً. يمكن استثمار ذلك من خلال

- حملات رقمية موثقة: إنتاج تقارير مستقلة (بدعم من منظمات دولية) تربط بين معدلات دخول المستشفيات ومناطق معينة ومصادر تلوث محددة، ثم رفع هذه التقارير إلى البرلمان كهيئة «مساءلة صحية»

- المطالبة بتعويضات صحية: تحويل الأمر إلى قضية حقوقية، حيث يمكن لعوائل الضحايا مقاضاة الدولة أو الشركات الملوثة. حتى مع ضعف القضاء، الضغط الإعلامي والدولي قد يُجبر الحكومة على اتخاذ إجراءات شكلية على الأقل (تركيب فلاتر، فرض غرامات)

ب. استغلال أزمة المياه كتهديد وجودي

السياسة المائية العراقية فشلت في تأمين حصص عادلة من نهري دجلة والفرات، كما فشلت في إدارة الموارد الداخلية. الحكومات تعرف أن العراق يفقد سنوياً مساحات زراعية شاسعة وأن الجفاف يُنزح مئات الآلاف من الأسر. لكن لا تحرك يذكر. هنا يمكن

- ربط المياه بالأمن الغذائي والاستقرار الاجتماعي: كل هكتار يجف ينتج عائلة نازحة داخلياً، وهو ما يُثقل كاهل الدولة مالياً وأمنياً. تقديم تقارير «تكلفة اللاتحرك» إلى وزارة التخطيط والبرلمان

- الاستثمار في الاتفاقيات الدولية: بدل انتظار حكومة ضعيفة للتفاوض مع تركيا وإيران، يمكن للخبراء العراقيين المستقلين والمنظمات الحقوقية رفع تقارير إلى الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية عن «حرمان مائي قسري» بفعل سياسات الجوار، مما يضع الحكومة العراقية في موقف محرج يضطرها للمطالبة بحقوقها

- ولو شكلية

ثالثاً: أدوات الضغط على حكومة ضعيفة - استغلال نقاط الضعف ذاتها

نظراً لاستحالة انتظار «حكومة قوية» تظهر فجأة، يجب استغلال السمات البنيوية للفشل الحكومي نفسه

١. اللامركزية الفعلية والمجالس المحلية

رغم أن القانون العراقي مركزي، إلا أن غياب السيطرة المركزية يخلق فراغاً يمكن للمحافظات النفطية (كالبصرة) أو الزراعية (كالناصرية) ملؤه. الضغط على المحافظين مباشرة بشأن معالجة الدخان الأسود أو تخصيص أراضٍ للتشجير - مع تقديم دعم تقني وإعلامي - قد يكون أسهل من انتظار بغداد

٢. التنافس السياسي بين الكتل

لا توجد حكومة واحدة، بل تحالف هش. يمكن تحويل البيئة إلى «سلعة سياسية» تتبارى الكتل في تبنيها. كيف؟

- إصدار «بطاقة أداء بيئية» لكل كتلة نيابية: من صوّت لصالح مشاريع بيئية، من عرقل، من يمتلك شركات ملوثة. النشر في وسائل الإعلام يخلق تنافساً على استمالة الناخبين الشباب المهتمين بالبيئة (ولو قلة، لكن صوتهم قد يكون حاسماً في دوائر ضيقة)

- تبني مشروع قانون بيئي واحد محدد وواضح (مثل قانون حظر حرق الغاز المصاحب في المناطق السكنية)، والعمل على تمريره عن طريق تحالفات عرضية مع نواب لا يملكون أجندة بيئية لكنهم يريدون «إنجازاً» سريعاً يظهرون به لناخبيهم

العراق اليوم ليس بحاجة إلى «حكومة بيئية مثالية»، بل إلى آليات تجعل الإهمال البيئي مكلفاً سياسياً واقتصادياً. الفساد والضعف ليسا مجرد عقبات، بل يمكن استغلالهما كأدوات للمساءلة: التنافس بين الكتل يمكن تسييس البيئة فيه، اللاتركيز يوفر منافذ محلية للضغط، والحاجة للشرعية الدولية تخلق قناة تأثير خارجية

المطلوب ليس يأساً من الواقع، وعي بطبيعته المركبة واستراتيجية ذكية تستغل كل شق فيه. البيئة في العراق ليست قضية للجيل القادم؛ هي ميدان معركة حالي يمكن - ولو جزئياً - إحداث اختراقات فيه، شريطة تحويل العجز الحكومي من عذر إلى فرصة. وحين تصبح تكلفة التلوث أكبر من تكلفة حله ولو بقليل، عندها فقط قد تتحرك آلة الحكم الثقيلة خطوة إلى الأمام

تـأثير الحـروب على الأسرة والمـرأة ودورهـا في بنـاء الـسلام

شهد العبيدي

الحـروب ليسـت مجـرد أرقـام للخسـائر أو معـارك عسـكرية على الخرائـط؛ إنهـا كارثـة إنسـانية بامتيـاز تعيـد تشـكيل المجتمعـات مـن جذورهـا. وأكثر مـن يدفـع الثمـن هـم الفئـة الأضعـف هيكليـاً في أوقـات النـزاع، وهـم الأسرة والمـرأة. بينـما تنهـار المـدن وتتوقـف عجلـة الحيـاة، تبقـى الأسرة هـي الخـط الدفاعـي الأول، لكنهـا تتعـرض لضربـات مبـاشرة وغير مبـاشرة تمـزق نسـيجها، وتترك المـرأة في قلـب العاصفـة تعـاني مـن وطـأة الفقـد والنـزوح والمسـؤوليات المزدوجـة. وسنسـتعرض الآثـار المدمـرة للحـروب على الأسرة والمـرأة، ثـم ننظـر إلى الجانـب المشرق: كيـف يمكـن للمـرأة، رغـم كل المعانـاة، أن تكـون مفتاحـاً لبنـاء مجتمـع مسـتقر بعيـد عـن شـبح الحـروب

تأثير الحروب وعدم الاستقرار على العائلة بشكل عام

١. التفـكك الأسري والجسـدي: تفـرق الحـروب أفـراد الأسرة الواحـدة بين لاجـئين ومشرديـن ومعتقـلين ومفقوديـن. يفقـد الأطفـال آباءهـم، وتفقـد الأمهـات أبناءهـن، وتتحـول أواصر المحبـة إلى ذكريـات مؤلمـة

٢. الانهيـار الاقتصـادي: يفقـد رب الأسرة مصـدر رزقـه مـع تـدمير البنيـة التحتيـة والمصانـع والمـزارع. ينـتشر الفقـر المدقـع، وتصبـح الأسرة عاجـزة عـن تـأمين أبسـط احتياجاتهـا مـن غـذاء ودواء ومـأوى، مما يـؤدي إلى تفـكك العلاقـات بسـبب الضغـوط الماليـة

٣. الصدمـات النفسـية الجماعيـة: يعـاني جميـع أفـراد الأسرة مـن اضطـراب مـا بعـد الصدمـة (PTSD)، والكوابيـس، والقلـق المزمـن، والاكتئـاب. يتحـول المنـزل مـن ملاذ آمـن إلى سـجن للخـوف، ويفقـد الأطفـال طفولتهـم، ويصبـح العنـف وسـيلة للتعامـل مـع الضغـوط داخـل الأسرة نفسـها

٤. تشريـد القيـم والأخلاق: في خضـم الفـوضى والحـرب، تتفـكك الأعـراف والقيـم الاجتماعيـة. قـد تضطـر الأسر للجـوء إلى ممارسـات غير أخلاقيـة للبقـاء على قيـد الحيـاة، كـزواج القـاصرات المبكـر كحمايـة مزعومـة، أو التسـول، أو العمـل القسري

تـأثير الحـروب على المـرأة بشـكل خـاص (عـبء مضاعـف)

المـرأة في الحـروب تواجـه «عقوبـة إضافيـة» لأن جسـدها يصبـح سـاحة للمعـارك

١. العنـف الجنـسي كـسلاح حـرب: يُعـد الاغتصـاب الجماعـي، والإخصـاء الـقسري، والاسـتعباد الجـنسي مـن أفظـع جرائـم الحـرب التـي تسـتهدف النسـاء تحديـداً. يُسـتخدم هـذا العنـف لـكسر روح المجتمـع وإذلالـه، وتترك الضحايـا بنـدوب نفسـية وجسـدية لا تندمـل مـدى الحيـاة

٢. العـبء المـزدوج: مـع غيـاب أو مـوت الرجـال في المعـارك، تتحـول المـرأة بين ليلـة وضحاهـا إلى المسـؤول الوحيـد عـن الأسرة. تصبـح هـي المعيلـة، والمديـرة، والمربيـة، والممرضـة، والـزرّاعـة، كل ذلـك في ظـل غيـاب الأمـان وأبسـط الخدمـات

٣. تـدمير الصحـة الإنجابيـة: تنهـار المراكـز الصحيـة، وتنعـدم الرعايـة الطبيـة للنسـاء الحوامـل، مما يـؤدي إلى ارتفـاع معـدلات وفيـات الأمهـات والأطفـال حديثـي الـولادة. تفتقـر النسـاء إلى وسـائل تنظيـم الأسرة والنظافـة الشـخصية، مما يفاقـم معاناتهـن الصحيـة

٤. التهميـش والإقصـاء: في مرحلـة مـا بعـد النـزاع، غالبـاً مـا يتـم تهميـش دور المـرأة، رغـم أنهـا كانـت العمـود الفقـري للمجتمـع أثنـاء الحـرب. تُسـتبعد مـن مفاوضـات السـلام وعمليـات إعـادة الإعمـار، وتُعـاد الأعـراف الذكوريـة التقليديـة التـي تضعهـا في الـدرك الأسـفل

كيـف يمكـن للمـرأة أن تلعـب دورهـا في بنـاء مجتمـع مسـتقر بعيـد عـن الحـروب؟

رغـم كل الصـور القاتمـة، أثبتـت المـرأة عبر التاريـخ أنهـا ليسـت مجـرد ضحيـة، بـل قـوة دافعـة للتغيـير والسـلام. إليـك كيـف يمكنهـا القيـام بدورهـا

١. صنـع السـلام مـن الأسـفل: النسـاء أكثر قـدرة على بنـاء تحالفـات مجتمعيـة وحـل النزاعـات بطـرق سـلمية. يمكنهـن تنظيـم «لجـان السـلام النسـائية» في الأحيـاء، تعمـل على حـل الخلافـات الصغيـرة قبـل أن تـكبر، ونشـر ثقافـة الحـوار والتسـامح داخـل الأسرة والمدرسـة

٢. الضغـط مـن أجـل التعليـم: المـرأة المتعلمـة هـي أقوى سـلاح ضـد التطـرف والعنـف. يمكنهـا تعليـم أطفالهـا قيـم التسـامح والمواطنـة، والنقـد البنـاء، ونبـذ الكراهيـة. المـدارس التـي تديرهـا نسـاء هـي بـؤر أمـان واسـتقرار في المجتمعـات الهشـة

٣. القيـادة الاقتصاديـة: عندمـا تُمكّـن المـرأة اقتصاديـاً (مـن خلال المشـاريع الصـغيرة، والتمويـل الأصغـر، والتدريـب المهنـي)، فإنهـا تُعيـد بنـاء النسـيج الاقتصـادي مـن القاعـدة. الأسرة التـي تعولهـا امـرأة قويـة اقتصاديـاً تكـون أقـل عرضـة للتجنيـد في الجماعـات المسـلحة أو الانـزلاق في العنـف مـن أجـل لقمـة العيـش

٤. المشـاركة في رسـم سياسـات الدولـة: لا يمكـن بنـاء مجتمـع مسـتقر دون وجـود النسـاء في طـاولات القـرار. يجـب أن تشـارك المـرأة في كتابـة الدسـتور، وقـوانين العدالـة الانتقاليـة، وإصلاح قطـاع الأمـن. وجودهـا يضمـن عـدم إعـادة إنتـاج مسـببات الحـرب، ويضمـن حمايـة حقـوق الفئـات الأكثر تضرراً

٥. شـفاء الجـروح المجتمعيـة: تمتلـك المـرأة قـدرة فطريـة على التعـافي المجتمعـي. هـي التـي تقـود مبـادرات المصالحـة بين العـائلات المتناحـرة، وتديـر مجموعـات الدعـم النـفسي للنسـاء والفتيـات الأخريـات، وتُعيـد بنـاء الثقـة في الإنسـان بعـد أن دمرتهـا الحـرب

الحـروب لا تنتهـي بتوقيـع اتفاقيـات على ورق؛ بـل تنتهـي عندمـا تعـود الحيـاة إلى طبيعتهـا في عيـون الأطفـال، وعندمـا تشـعر المـرأة بالأمـان مجـدداً. إن تـدمير الأسرة والمـرأة هـو تـدمير للحـاضر والمسـتقبل، بينـما حمايتـهما وتمكينـهما هـو اسـتثمار في السـلام الدائـم

على المجتمـع الـدولي والـدول العربيـة أن تـدرك أن دعـم المـرأة ليـس رفاهيـة، بـل ضرورة اسـتراتيجيـة للأمـن القومـي. المـرأة القـادرة على بنـاء بيتهـا في زمـن الحـرب، هـي وحدهـا القـادرة على بنـاء وطـن لا تعـرف فيـه الأجيـال القادمـة معنـى للحـرب. فلنسـتثمر في المـرأة، ولنسـمع صوتهـا، ولنمنحهـا أدوات السـلام، فهـي حارسـة الذاكـرة وبانيـة المسـتقبل

«إذا أردت أن تعـرف إن كان المجتمـع يتجـه نحـو السـلام أو الحـرب، فانظـر كيـف يعامـل نسـاءه.»

من صناعة الحضارة إلى الاستهلاك السياسي

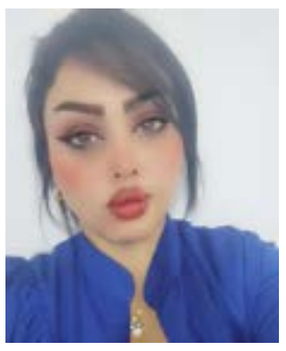

إيناس علي شمخي

تمتلـك المـرأة العراقيـة إرثـاً حضاريـاً فريـداً، حيـث كانـت في حضـارات بلاد الرافديـن شريـكاً أساسـياً في بنـاء الدولـة والاقتصـاد والقانـون. غير أن هـذا المـوروث تعـرض للتشـويه عبر مراحـل تاريخيـة متعاقبـة، في العصـر الراهـن حيـث تحولـت المـرأة إلى «سـلعة اسـتعراضية» تُوظـف في دهاليـز الفسـاد والسياسـة، وتُسـتهلك صورتهـا وجسـدها وصوتهـا لخدمـة مصالـح رؤوس الأمـوال والنخب الفاسـدة. اليـوم، وبعـد آلاف السـنين، تجـد المـرأة العراقيـة نفسـها محاصـرة في صـورة نمطيـة قاتلـة: إمـا «امـرأة منزليـة» مهمشـة، أو «وجـه إعلامـي» يُسـتخدم لبيـع البضائـع والأفـكار، أو «رمـز انتخـابي» تُوظـف لمـلء كوتـا برلمانيـة دون سـلطة حقيقيـة. الانتقـال مـن «صانعـة حضـارة» إلى «أداة اسـتهلاكية» لم يحـدث بين ليلـة وضحاهـا، بـل نتيجـة تراكـم تحـولات سياسـية واقتصاديـة وثقافيـة، كانـت المـرأة أبـرز ضحاياهـا.

المرأة في حضارة بلاد الرافدين: شراكة لا وصاية

تـشير النصـوص المسمارية إلى أن المـرأة في سـومر وأكـد وبابـل امتلكـت شـخصية قانونيـة مسـتقلة. كانـت «الأميرة» تديـر عقاراتهـا، و«التاجـرة» تسـافر للتبـادل التجـاري، و«الكاهنـة» تشرف على مؤسسـات اقتصاديـة ضخمـة. القطيعـة بـدأت مـع الفتوحـات والإمبراطوريـات اللاحقـة، حيـث تراجعـت حقـوق النسـاء تدريجيـاً تحـت تـأثير قـوانين قبليـة ذكوريـة، لكـن المـرأة ظلـت فاعلـة في الاقتصـاد الزراعـي والحـرفي

العصر الحديـث: الديكتاتوريـة والاسـتعمار والكوتـا الشـكلية

تحـت الحكـم الملـكي ثـم الجمهـوري، شـهدت المـرأة العراقيـة نهوضـاً نسـبياً في التعليـم والعمـل (خمسـينيات وسـبعينيات القـرن الماضي). لكـن أنظمـة الاسـتبداد وظفـت «قضايـا المـرأة» كأداة دعائيـة للشرعيـة الدوليـة، دون تمـكين حقيقـي

مـا بعـد ٢٠٠٣ جـاءت «كوتـا المـرأة» بنسـبة ٢٥٪ مـن المقاعـد البرلمانيـة. ورغـم أهميـة هـذه الخطـوة كأولويـة كميـة، إلا أنهـا تحولـت في كـثير مـن الأحيـان إلى فـخ. نسـاء يتـم اختيارهـن مـن قبـل الأحـزاب والقـوى الفاسـدة ليكونـن «وجهـاً» للمنظمـة، دون سـلطة قـرار حقيقيـة في العـراق المعـاصر، كـثيراً مـا تُخـتصر مشـاركة المـرأة في «وجودهـا الرقمـي» داخـل البرلمان أو المجالـس المحليـة. لكـن الواقـع يكشـف أن

- التبعيـة الحزبيـة: معظـم النائبـات لا يملكـن حريـة تصويـت حقيقيـة، بـل يصوتـن وفـق توجيـه الكتلـة، وغالبـاً مـا تُسـتخدم أصواتهـن لتمريـر موازنـات فاسـدة أو تعيينـات محسـوبية

- التوظيـف الانتقـائي: تُسـتدعى المـرأة السياسـية لافتتـاح دور الحضانـة أو حضـور مؤتمـرات «تمـكين المـرأة» كغطـاء إنسـاني، بينـما تُسـتبعد مـن لجـان الطاقـة والنفـط والأمـن – أي اللجـان التـي تقـرر توزيـع الثـروة الحقيقيـة

- الإعلام الذكـوري: وسـائل الإعلام تُركّـز على ملابـس النائبـات، وأصواتهـن، وجمالهـن، وعلاقاتهـن العائليـة، بدلاً مـن برامجهـن السياسـية. هـذا «التأنيـث الاسـتعراضي» يحـول السياسـية إلى «راقصـة في حلبـة السياسـة» أكثر مما يحولهـا إلى فاعلـة

الاستهلاك الإعلامي: جسد المرأة كبضاعة

دون أي رقابـة، تسـتخدم الإعلانـات التجاريـة والقنـوات الفضائيـة جسـد المـرأة العراقيـة لبيـع كل شيء: سـيارات، هواتـف، مشروبـات، وحتـى مرشـحين سياسـيين في الحـملات الانتخابيـة (ملصقـات تظهـر النسـاء باكيـات أو مبتهجـات إلى جانـب صـور الرجـال المرشـحين). هـذه الصـور تكـرس فكـرة أن المـرأة «أداة جـذب عاطفيـة» وليـس «فاعلـة عاقلـة». والأسـوأ أن بعـض البرامـج الدينيـة والمحافظـة تسـاهم في هـذا الشيء مـن الطـرف الآخـر: إمـا «عـورة تـستر» أو «جسـم يُظهـر». كلاهما يختزلهـا في جسـدها

دور المرأة الذاتي – كيف توعي نفسها وتُحرر نفسها؟

الخـروج مـن هـذا الواقـع لا يمكـن أن يـأتي مـن أنظمـة الفسـاد ذاتهـا، ولا مـن الإعلام التابـع لـرؤوس الأمـوال. المـرأة العراقيـة بحاجـة إلى انتفاضـة داخليـة هادئـة، قائمـة على الوعـي والتنظيـم الموازي. المحـاور التاليـة تمثـل خريطـة طريـق حـد أدنى

التعليـم النقـدي أولاً: كيـف تفـكك المـرأة الخطـاب الاسـتغلالي؟

تحتـاج كل امـرأة عراقيـة إلى أن تتعلـم «قـراءة النقـد النسـوي» للأحـداث والإعلانـات والسياسـات. عمليـاً

- إعـادة كتابـة التاريـخ النسـوي العراقـي: توثيـق قصـص النسـاء العراقيـات اللـواتي سـبقن – عـالمات، سياسـيات، فلاحـات، حرفيـات – كمصـدر فخـر ونمـوذج يحتـذى، بـدلاً مـن النمـاذج المسـتوردة

الرفـض الجماعـي للاسـتغلال السـياسي: لا كوتـا بـدون تمـكين

يجـب أن تتجـاوز المـرأة العراقيـة فكـرة «القبـول بـأي مقعـد فقـط للوجـود». المطالـب الدنيـا

- تشـكيل كتلـة نسـائية مسـتقلة داخـل البرلمان والمجالـس المحليـة، غير تابعـة لأحـزاب الفسـاد، تعمـل على قـوانين حمايـة المـرأة الاقتصاديـة والقانونيـة، وتراقـب موازنـات «التمـكين» أيـن تذهـب

- اسـتخدام الكوتـا بشـكل عـكسي: في المناطـق التـي توجـد فيهـا نسـاء فـاعلات حقيقيـات، يجـب الضغـط على الأحـزاب لترشـيحهن، وإلا فتحقيـق فضائـح انتخابيـة للنسـاء «المسـتعارات»

المـرأة العراقيـة لا تحتـاج إلى مـن «يمنحهـا» دوراً، بـل تحتـاج إلى اسـتعادة الـدور الـذي سـلبت منهـا. هـذا الاسترداد لا يتـم عبر خطـب السياسـيين أو شـيكات المانـحين، بـل عبر فعـل تراكمـي صامـت، امـرأة تتعلـم رفـض توظيـف صورتهـا في إعلان مسـتهلك، أخـرى تنسـحب مـن قائمـة حزبيـة فاسـدة،

الطريـق طويلـة، والعقليـة الذكوريـة المتسـلطة ورؤوس الأمـوال التـي تغذيهـا لـن تختفـي بين ليلـة وضحاهـا. لكن الخـبر اليـقين: كل امـرأة ترفـض أن تكـون أداة اسـتعراضية، وكل امـرأة تقـرر أن تكـون هـي مـن يرسـم مسـتقبلها الاقتصـادي والسـياسي، هـي لبنـة في سـور منيـع يحمـي المجتمـع بأكملـه – ليـس فقـط المـرأة – مـن اسـتلاب الفسـاد. العـراق الـذي ينتظـر نهوضـاً حقيقيـاً، ينتظـر نسـاءه حارسـات للحيـاة، لا واجهـات لصفقـات المـوت. ومسـؤولية البـدء تقـع على كاهـل كل امـرأة قـررت أن تكتـب: «لـن أكـون رقمـاً في كوتـا، ولـن أكـون وجهـاً في إعلان، سـأكون فاعلـة في مجتمعـي، وسـأعيد للرافديـن رافعـات الحضـارة»

المـرأة والطبيعـة (البيئـة): قصـة اسـتعباد واحـدة وتـدمير مـزدوج

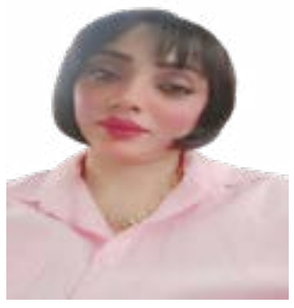

أنغام جميل

سـنبحث في العلاقـة الجوهريـة بين اسـتغلال المـرأة واسـتغلال الطبيعـة، بوصفـهما وجـهين لعمليـة واحـدة مـن «التشـييء» (التحويـل إلى شيء أو سـلعة) التـي أسسـتها العقليـة الأبويـة الاسـتخراجية الحديثـة. منـذ العصـور القديمـة، كانـت المـرأة والطبيعـة متحديـن في رمزيـة الخصوبـة والحيـاة والرعايـة. لكـن مـع صعـود الأنظمـة الأبويـة والرأسماليـة الصناعيـة، تـم اختـزال المـرأة إلى «كائـن اسـتهلاكي» والطبيعـة إلى «مـورد قابـل للاسـتنزاف. إن تحريـر المـرأة لا يمكـن فصلـه عـن حمايـة البيئـة، وأن أي مجتمـع يحـول هذيـن العنصريـن الحيويين إلى أدوات للربـح والإشـباع المادي يُقـوض وجـوده حتمـاً.

منـذ فجـر الحضـارة، رسـمت المخيـال الإنسـاني صلـة وثيقـة بين الأنثـى والأرض. كانـت الآلهـة الأم (كـ«إنانـا» في بلاد الرافديـن، و«إيسـتر» و«كي»، و«غايـا» في اليونـان) تجسـيداً للخصوبـة والـنماء والحيـاة. كانـت المـرأة، بجسـدها الـدوري القمـري وقدرتهـا على الإنجـاب، رمـزاً للطبيعـة ذاتهـا. عطـاء بلا حـدود، دورات متجـددة، سر الحيـاة. وفي المجتمعـات الزراعيـة التقليديـة، كانـت المـرأة هـي البـذّارة، والحاصـدة، وحافظـة البـذور، ومديـرة الميـاه المنزليـة، ومعالجـة النباتـات الطبيـة

هـذا الربـاط لم يكـن مجـرد شـعر أو أسـطورة؛ كان علاقـة عمليـة ونمـط إنتـاج ونسـقاً قيميـاً يقـوم على التدويـر والرعايـة لا الاسـتنزاف والهيمنـة

ثـم جـاء تحـول عميـق مـع صعـود المجتمعـات الأبويـة المنظّمـة، ثـم مـع الثـورة العلميـة والصناعيـة، بـدأ هـذا الربـاط يُفـكك، ليـس بالصدفـة، بـل وفـق مشروع متكامـل. تبـين هـذه الورقـة أن تحويـل المـرأة إلى «جسـم مسـتهلك» والطبيعـة إلى «مـادة خـام» هما عمليتـان متوازيتـان، تغذيهـما العقليـة الذكوريـة الاسـتغلالية ذاتهـا. النتيجـة كانـت: مجتمـع مشـوّه، بيئـة مدمّـرة، وتجريـد الحيـاة مـن قدسـيتها

القطيعة الأولى: صعود الدولة الأبوية والقوانين الوضعية

مـع قيـام الإمبراطوريـات والقـوانين الوضعيـة (في بلاد الرافديـن مـثلاً مـع شريعـة حمـورابي، ثـم في اليونـان والرومـان)، حـدث تراجـع تدريجـي لـدور المـرأة في الفضاء العـام وإدارة المـوارد. فُصلـت المـرأة عـن الأرض تدريجيـاً، وحُصرت في الفضـاء المنـزلي. صـارت الأرض ملكيـة خاصـة يتحكـم بهـا الرجـل، بينـما تحولـت المـرأة إلى جـزء مـن تلـك الملكيـة (ابنـة، زوجـة، أمـة). تلـك كانـت أول خطـوة في «تشـييء» الكائـنين معـاً

التحـول الحاسـم حـدث في أوروبـا القـرن السـابع عشر مـع فلاسـفة العلـم الجديـد مثـل فرانسـيس بيكـون ورينيـه ديـكارت

- بيكـون شـبه الطبيعـة بالمـرأة «السـاحرة» التـي يجـب «اسـتجوابها تحـت التعذيـب» (في إشـارة للتجـارب العلميـة) لكشـف أسرارهـا وإخضاعهـا لخدمـة الإنسـان. لغـة العنـف والتسـلط على الطبيعـة – اسـتعارتها مـن محاكـم تفتيـش السـاحرات حيـث كانـت النسـاء ضحايـا

– وضعـت الأسـاس لاسـتغلال بيئـي غير مسـبوق

- ديـكارت قسـم الواقـع إلى «مـادة» صمـاء آليـة و«عقـل» مفكـر. الطبيعـة أصبحـت مجـرد آلـة كـبيرة، بلا روح أو قيمـة ذاتيـة، والمـرأة المرتبطـة رمزيـاً بالطبيعـة والجسـد لم تعـد سـوى جـزء مـن هـذه الآلـة يجـب التحكـم فيـه

هـذه الفلسـفة هـي التـي أنتجـت النمـوذج الاسـتغلالي الحديـث: الإنسـان (الذكـر العاقـل الأبيـض الأوروبي) هـو المركـز، والعـالم الطبيعـي (والمـرأة ضمنـه) موجـود فقـط لخدمتـه

بين القـرنين ١٥ و١٨، شـهدت أوروبـا حملـة اضطهـاد واسـعة ضـد النسـاء المتـهمات بالسـحر، قُتـل خلالهـا عشرات الآلاف. لكـن الخلفيـة الاقتصاديـة والثقافيـة لهـذه الحـملات كانـت أكثر تعقيـداً. لقـد اسـتهدفت النسـاء اللـواتي امتلكـن معرفـة نباتيـة وطبيـة راسـخة، النسـاء اللـواتي كـن يعالجـن بالفطريـات والأعشـاب ويسـاعدن في الإجهـاض (تنظيـم النسـل). هـذه المعـارف كانـت عائقـاً أمـام صعـود البروفيسـيون الطبـي الذكـوري الجديـد (الأطبـاء الذكـور المدعـومين مـن الدولـة) وأيضـاً أمـام السـيطرة على الإنجـاب

هـذا الاضطهـاد لم يكـن مجـرد هـوس دينـي، بـل كان «تطهيـراً» للمعـارف النسـوية البيئيـة ليحـل محلهـا العلـم الذكـوري التجريبـي الأبعـد عـن الطبيعـة

المرأة: من حارسة للبيئة إلى مستهلكة

مـع الثـورة الصناعيـة وخـروج الإنتـاج مـن المنـزل إلى المصنـع، فقـدت النسـاء السـيطرة على وسـائل الإنتـاج الزراعـي والحـرفي. وبـدلاً مـن أن يكـنّ منتجـات، جـرى تسـويقهن كـمستهلكات. الإعلانـات الحديثـة حوّلـت جسـد المـرأة إلى أداة للترويـج لـكل شيء: مـن السـيارات إلى المشروبـات الغازيـة، مـروراً بمسـتحضرات التجميـل والملابـس السريعـة

في نفـس اللحظـة، تحولـت الطبيعـة إلى مـا يُسـمى في اللغـة الاقتصاديـة بـ«المـوارد الطبيعيـة» – كأنهـا مجـرد مخـزن يمكـن نهبـه. الغابـات صـارت أخشـاباً، الأنهـار صـارت ميـاه تبريـد للمصانـع، التربـة صـارت وعـاء للكيماويـات الزراعيـة

النمـوذج الذكـوري الاسـتغلالي لا يـرى في الغابـة إلا قيمـة ماديـة (كـم متراً مـن الخشـب؟ كـم طنـاً مـن البـترول تحـت الأرض؟). بينـما النمـوذج الأنثـوي التقليـدي يـرى في الغابـة نظامـاً للحيـاة: مصـدراً للميـاه النقيـة، منـزلاً للطيـور، عُلبـاً للأدويـة الطبيعيـة، رئـة للهـواء

مـا يجمـع اسـتغلال المـرأة والطبيعـة هـو نفـس المنطـق الآلي العـددي الـذي يقيـس قيمـة كل شيء بالربـح المـادي

قيمـة في المجتمعـات الاسـتهلاكية الحديثـة تُقـاس بجمالهـا الجسـدي (وفـق معـايير هشـة متـغيرة)، وقدرتهـا على الاسـتهلاك، ومسـاهمتها في الناتـج المـحلي. أدوارهـا كحارسـة، ومربيـة أجيـال، وحافظـة للمعرفـة التقليديـة لا تُحتسـب في الاقتصـاد الرسـمي

- وقيمـة الطبيعـة تُقـدَّر الخدمـات التـي تقدمهـا النظـم البيئيـة (تلقيـح المحاصيـل، تنقيـة الميـاه، عـزل الكربـون فقـط عندمـا تُترجـم إلى «قيمـة اقتصاديـة» عبر أسـواق الكربـون أو مـا شـابه. لكـن وظيفتهـا الجوهريـة – دعـم الحيـاة – ليـس لهـا سـعر في دفاتـر الشركات

هـذه العقليـة المنفصلـة، التـي تفتقـر إلى الأخلاق الأنثويـة للعنايـة، هـي التـي أنتجـت مجتمعـاً مريضـاً. المـرأة مسـتعبدة ومتعـة، والطبيعـة مسـتنزفة وملوثـة، والمجتمـع في مجموعـه يعـاني مـن أزمـات، عزلـة، كآبـة (بسـبب قطـع صلـة الإنسـان بـالأرض)، تلـوث، أمـراض مزمنـة

لإعـادة بنـاء مجتمـع صحـي بيئيـاً ونفسـياً، لا بـد مـن كسـر دائـرة اسـتعباد المـرأة والطبيعـة معـاً. المقترحـات التاليـة ترتكـز على العـودة إلى القيـم الأنثويـة للعنايـة والتدويـر

تعليم الفتيات كحارسات للبيئة

إدراج مـادة «النسـوية البيئيـة التطبيقيـة» في المـدارس الابتدائيـة، حيـث تتعلـم الفتيـات (والفتيـان أيضـاً) العلاقـة بين حقـوق المـرأة وصحـة النظـم البيئيـة. الأنشـطة العمليـة: زراعـة حدائـق مدرسـية، فـرز النفايـات، ترشـيد المـاء، مـع التركيـز على أن هـذه الممارسـات ليسـت «خدمـة» بـل «سـيادة على الـذات»

توثيق المعارف البيئية النسوية التقليدية

قبـل أن تندثـر مـع الجيـل الأكبر سـناً، يجـب إنشـاء أرشـيف وطنـي للطـب الشـعبي النبـاتي، طـرق حفـظ البـذور، تقنيـات الـري المنـزلي، فنـون تدويـر المنسـوجات والخـزف. هـذه المعـارف ليسـت فولكلـوراً، بـل تكنولوجيـا مسـتدامة بديلـة

تمكين المرأة اقتصادياً في مشاريع خضراء

دعـم تعاونيـات نسـائية متخصصـة في: زراعـة الأسـطح المنزليـة، إعـادة تدويـر المخلفـات الورقيـة والبلاسـتيكية، إنتـاج مسـتحضرات تجميـل طبيعيـة مـن النباتـات المحليـة، صناعـة الأسـمدة العضويـة مـن مخلفـات المطابـخ. هـذه المشـاريع تولـد دخلاً وتحمـي البيئـة وتعـزز اسـتقلالية المـرأة

حصة إجبارية للنساء في هيئات إدارة الموارد الطبيعية

في مجالـس حمايـة الأهـوار، لجـان إدارة الميـاه المحليـة، هيئـات مكافحـة التصحـر – يجـب تخصيـص نسـبة لا تقـل عـن ٤٠٪ مـن الأعضـاء للنسـاء الخبيرات، مـع ضمان أنهـن لسـن مجـرد «زينـة» بـل لهـن صـوت مؤثـر في الميزانيـات والسياسـات

نقد ثقافي للإعلان والاستهلاك

حـملات وطنيـة تفضـح كيفيـة اسـتخدام جسـد المـرأة في الترويـج لمنتجـات مدمـرة بيئيـاً. اسـتبدال صـور النسـاء «كأدوات إغـراء» في الإعلانـات بصـورة المـرأة كحارسـة، ومربيـة، وعالمـة، وفاعلـة بيئيـة

لم يكـن ارتبـاط المـرأة بالطبيعـة محـض صدفـة ثقافيـة، بـل انعكاسـاً لبنيـة الحيـاة نفسـها، الإيقـاع، الدوريـة، الرعايـة، التكامـل. كل مجتمـع أراد السـيطرة على المـرأة وإفقارهـا وإخراجهـا مـن دائـرة القيمـة، تلتـه السـيطرة على الطبيعـة وتجريدهـا مـن روحهـا، ثـم تلاهما انهيـار المجتمـع في أزمـات متعـددة البيئـة، الاقتصـاد، الصحـة النفسـية

اليـوم، في عصر التـغير المناخـي والتلـوث المتفاقـم وتراجـع التنـوع الثقـافي، أصبـح واضحـاً أن نمـوذج الأب الأبيـض الاسـتغلالي فشـل. الثمـن الـذي دفعنـاه (المـرأة والطبيعـة معـاً) باهـظ، لكـن الوقـت لم يفـت بعـد للعـودة

ليـس المطلـوب اسـتعادة مجتمـع «أمومـي» خيـالي، بـل اسـتعادة قيـم أنثويـة في صميـم السياسـة والاقتصـاد: قيـم العنايـة على الربـح، والتدويـر على الاسـتنزاف، والشراكـة مـع الطبيعـة على السـيطرة عليهـا. وحين تتحـرر المـرأة مـن قيـود «الجسـم المسـتهلك» و«الكائـن التابـع»، تعـود لتكـون حارسـة البيئـة الطبيعـي، عندهـا فقـط قـد نلمـس فجـر مجتمـع جديـد – أخضر، عـادل، حيـوي، وأخيـراً سـليم

تعافي العراق... رهن المحاصصة السياسية

إبراهيم يوسف

إن تعافي العراق كدولة مؤسسات، وتحرره من نظام المحاصصة هو سؤال عميق ومصيري، والإجابة المختصرة هنا لا يمكن أن نغطي موضوع مهم شغل بال الكثير من الباحثين في الشأن السياسي منذ العام ٢٠٠٣ ليومنا الراهن، وان موطن الخطر في بحث هذه الإشكالية المتعددة الزوايا، والمنحنيات غير المتجانسة. هي أنها تمثل تحدياً كبيراً ومعقداً، ولا توجد بوادر قريبة لحل جذري لها، أو معالجة الخلل البنيوي الذي قامت وتأسست عليه قواعد العملية السياسية في عراق ما بعد الحقبة الدكتاتورية، ولكن هناك مؤشرات على تغيرات محتملة في طريقة عمل النظام، وإن كان ذلك لا يصل إلى درجة التحرر الكامل منه.

يمكن النظر إلى المشهد الحالي من ثلاث زوايا رئيسية:

لماذا فشلت آليات التغيير التقليدية...؟

· حركة تشرين: أثبتت استمراريتها وقدرتها على إحداث هزات سياسية وإجبار حكومات على الاستقالة وتحقيق إصلاحات شكلية، لكنها لم تستطع تحويل زخمها الشعبي إلى قوة سياسية مؤثرة داخل المؤسسات بعد أن فشل مرشحوها في انتخابات ٢٠٢٥، ويعود ذلك جزئيا إلى تعقيد المشهد السياسي العراقي الذي يعيق ظهور قائد قوي أو حكومة تكنوقراط حقيقية

· مقترح «تعديل الدستور»: رغم عودة هذا المقترح للواجهة بقوة مؤخرا، فإنه يواجه عقبات شبه مستعصية لأنه يتطلب موافقة أغلبية النواب ثم تمريره في استفتاء شعبي، مع إعطاء صلاحية نقضه لثلثي سكان ثلاث محافظات على الأقل، وهو شرط وضعته القوى الكردية لحماية مصالحها وجعل أي تعديل جوهري صعب المنال جدا

هناك سؤال آخر وهو: ماذا عن التعيينات الأخيرة...؟ هل هي تغيير حقيقي أم مجرد «تجميل» للوجه...؟ ان أحدث التطورات في ٢٠٢٦ أظهرت استمرار النظام في إنتاج نفسه بأشكال جديدة، ولكن هناك جدل حول ما إذا كانت هذه الأشكال تمثل بداية لتحول بطيء وعلى النحو التالي

أولاً: ترشيحات على خطى الماضي. ففي ربيع ٢٠٢٦ تم اختيار رجل الأعمال الشاب علي الزيدي، الذي يعتبر «شخصية مستقلة» أو «غريبة عن المؤسسة السياسية»، اختياره لمنصب رئاسة مجلس الوزراء. هذه الترشيحات ربما تمنح غطاء من «التجديد» الذي يطالب به الشارع دون المساس بجوهر النظام الطائفي

ثانياً: جدلية الرجل «المستقل» تحمل معها احتمالية

قدرة الزيدي على الحكم فيما لو اعتمد بشكل كامل على دعم الكتل السياسية التي رشحته في نظام المحاصصة العميق، حتى أن البعض يعتبر تعيينه مجرد «حل وسط»، نتج عن طريق «المساومات الخلفية» بدعم أمريكي إيراني متزامن لتمريره

ولنا أن نسأل أيضاً ما هي العقبات الحقيقية أمام التغيير...؟

والجواب عندي هو أن نظام المحاصصة لم يدم لعقدين من الزمن بالصدفة. بل كانت هناك عوامل قوية تجعله «خط دفاع» أخير في نظر الكثيرين، ويجعله في منأى عن أي تغيير وشيك للأسباب التالية

· القوى الراسخة و«حماية المصالح». إذ، أن هناك طبقة سياسية كاملة تستفيد من هذا النظام (النخب الحاكمة والمليشيات والأحزاب الكبيرة). فهم يكسبون السلطة والثروة من خلاله، ولن يسمحوا بتفكيكه بسهولة

· الخوف من البديل المجهول. فبالنسبة للعديد من المكونات (مثل الكرد والسنة)، يعتبر النظام الحالي، رغم عيوبه، يضمن لهم تمثيلا و«حصصاً» في السلطة. بالرغم من أن هناك خوف حقيقي من أن أي محاولة جذرية لتغيير هذا النظام. قد تؤدي إلى عودة ديكتاتورية الأغلبية أو انهيار الدولة

· تعقيدات التعديل الدستوري. وهي نقطة سبق شرحها، فهي تعقد إلى حد كبير فرص إصلاح النظام من جذوره

تبقى أزمة الثقة قائمة بين الفقراء قائمة، والبحث عن الهوية الوطنية هاجساً يقض مضاجع الشعب الذي بدأ يتململ كثيراً، ويوشك على «ثورة جياع» ستأتي على هيكل الدولة الأساسي، والاطاحة بالعملية السياسية، لتضع العراق أمام المجهول بكل ما يحمله المستقبل من مخاطر لا تهدد العراق وحده بل مستقبل المنطقة برمتها.

في المحصلة، فان العراق يعيش أزمة ثقة عميقة.... الشعب لم يعد يثق بنظام يوزع المناصب كغنائم، والمكونات لا تثق ببعضها في غياب هذا النظام. إن هذا المأزق يجعل الإصلاح الحقيقي رهناً بتغيير جذري في الثقافة السياسية وتوازن القوى، وليس فقط بتعديل القوانين أو تغيير الوجوه. التحرر الكامل من المحاصصة ما زال مشروعاً صعب التحقيق في المدى المنظور، ويبقى الأمل معقود على قوى اليسار الديمقراطي، ومنظمات المجتمع المدني. مع الفعاليات الاجتماعية المثقفة، والعابرة لحدود الطائفية السياسية لإحداث التغيير والتحول السلمي لحكم الأغلبية السياسية، ووفق ما نص عليه الدستور الاتحادي. الذي ينتظر الشعب أن يتطهر من الألغام التي دست فيه دساً...!!

الإنسان المُعاد تدويره... كيف تحوّلنا إلى نسخ قابلة للاستهلاك

بسام البديري

في عالم يرفع شعار (كن نفسك)

يبدو أن الجميع يتشابهون بشكل مريب.

نفس الكلمات، نفس الطموحات ونفس ردود الأفعال. كأن البشرية دخلت مصنعاً ضخماً لإعادة التدوير حيث تُسحب الفروقات من الإنسان ويُعاد تشكيله في قالب واحد أنيق وقابل للبيع

هذه الفكرة ليست جديدة بل تنبّه لها مبكراً ١٩٨٤ حين صوّر عالماً لا تُراقب فيه الأجساد فقط بل تُهندَس فيه العقول.

هناك لم يكن الخطر في القمع المباشر بل في القدرة على جعل الإنسان يقتنع بما يُفرض عليه حتى لو كان يناقض الواقع. لم يعد السؤال:

هل هذا صحيح؟

بل: هل هذا مقبول؟

وفي عالم جديد شجاع لم تعد السيطرة تحتاج إلى عنف بل إلى متعة. الإنسان لا يُجبر على الطاعة بل يُغرى بها. يُمنح ما يكفي من اللذة ليكفّ عن التفكير وما يكفي من الراحة ليخاف التغيير. وهكذا يتحول إلى كائن مطيع وهو يظن نفسه حراً

أما في المسخ فإن التحوّل لم يكن اجتماعياً فقط بل وجودياً. غريغور سامسا يستيقظ ليجد نفسه حشرة لكن الصدمة الحقيقية ليست في شكله الجديد بل في رد فعل الآخرين. كأن قيمته كانت دائماً مشروطة بوظيفته لا بإنسانيته وحين فقد دوره فقد كل شيء

هذه الأعمال رغم اختلافها تشير إلى حقيقة واحدة مزعجة. الإنسان الحديث لم يعد يُقمع كما في الماضي بل يُعاد تشكيله. لم تعد السلطة بحاجة إلى كسر الأفراد بل إلى توحيدهم إلى جعلهم متشابهين بما يكفي ليكونوا قابلين للإدارة والتسويق والتوقع

الجدل هنا ليس في أن المجتمع يفرض معايير فهذا أمر طبيعي بل في أننا بدأنا نتخلى طوعاً عن اختلافنا. نقلّد لأن التقليد أسهل، نتبنّى آراء جاهزة، لأن التفكير مُرهق. ونرتدي شخصيات مُصنّعة. لأن، أن تكون نفسك أصبح مخاطرة

الأخطر من ذلك أن الإنسان لم يعد يشعر بهذا التحوّل بل قد يدافع عنه ويهاجم المختلف ويسخر من الغريب ويخاف من كل ما لا يشبهه. وكأن التنوع لم يعد قيمة بل تهديداً يجب احتواؤه. ربما لم نعد نعيش في عالم تُفرض فيه القيود بالقوة، بل في عالم تُزرع فيه الرغبات بعناية. نعتقد أننا نختار لكن خياراتنا محددة سلفاً.

نعتقد أننا مميزون بينما نحن نسخ محسّنة من نموذج واحد. السؤال الذي لا نحب طرحه: هل ما زلنا أفراداً أم أصبحنا منتجات؟

أهمية الثقافة في العراق.. واسط انموذجاً

محمد العجيلي

الثقافة ليست زينة تُعلَّق على جدار المدينة، وليست نشاطًا ثانويًا يأتي بعد الخبز والسلطة والطرق. الثقافة هي الوعي الذي يجعل المجتمع يعرف نفسه، ويقرأ تاريخه، ويفهم مكانه في الزمن. ومن دون الثقافة تتحول المدينة إلى تجمع من الأبنية، أما معها فإنها تصبح كيانًا حيًا له ذاكرة وروح واتجاه. وبهذا المعنى، فإن الحديث عن الثقافة في واسط هو حديث عن جوهر المدينة، لا عن هامشها

واسط مدينة لا يمكن فهمها بمعزل عن الناس الذين عاشوا فيها، وعن الحكايات التي صاغت وجدانها، وعن التراكم الطويل الذي جعلها أكثر من موقع على الخريطة. فالمدينة التي تعيش قرونًا لا تبقى بالحجارة وحدها، بل تبقى بما تنتجه من معاني، وما تحفظه من قيم، وما تخلقه من روابط بين الأجيال. ولذلك فإن الثقافة في واسط هي القوة التي تربط الماضي بالحاضر، وتمنع الذاكرة من الانقطاع، وتبقي المجتمع متصلًا بجذوره مهما تبدلت الظروف

والثقافة، في عمقها، ليست رفاهًا للنخبة. إنها حاجة اجتماعية مثلها مثل التعليم والعمل والأمان. لأن الإنسان الذي لا يقرأ تاريخه، ولا يعرف تراثه، ولا يسمع صوت مدينته، يصبح معرضًا للاغتراب داخل المكان نفسه. أما المجتمع الذي يمتلك ثقافة حيّة، فإنه يكون أكثر قدرة على مواجهة التشتت والفراغ، وأكثر استعدادًا لبناء مستقبل منسجم مع ذاكرته. ومن هنا تأتي أهمية الثقافة في واسط بوصفها وسيلة لحماية المجتمع من النسيان ومن الانقطاع عن الذات

ولقد عرفت واسط عبر تاريخها أشكالًا متعددة من الحياة الفكرية والاجتماعية. فهي لم تكن مجرد مركز إداري أو محطة اقتصادية، بل كانت أيضًا فضاءً لتداول المعرفة، وللحديث، وللتعليم، وللأسئلة التي تفتح أفق الإنسان على ما هو أوسع من يومه المباشر. والمدن التي تُنتج المعرفة لا تبقى أسيرة لحاضرها، لأنها تخلق داخلها طاقة نقدية تمنع الجمود وتدفع إلى التجدد. وهذه الطاقة هي ما تحتاجه واسط اليوم كما احتاجته في الأمس

إن الثقافة في واسط تؤدي وظيفة مزدوجة: فهي من جهة تحفظ التراث، ومن جهة أخرى تفتح الطريق أمام التغيير. فالثقافة الحقيقية لا تعني تمجيد الماضي على نحو جامد، بل تعني فهمه واستلهامه وتحويله إلى قوة حية. ولهذا فإن الاهتمام بالتراث الواسطي لا يكون باستعراض الأسماء والمباني فقط، بل بقراءة المعاني التي أنتجها الناس في حياتهم اليومية، وبفهم كيف تشكلت قيم التعاون، والكرم، والمعرفة، والانتماء، والصبر، عبر الزمن الطويل

ومن أهم ما تمنحه الثقافة للمجتمع أنها تصنع الوعي الجمعي. فالوعي لا يولد من الفراغ، بل من التراكم: من الكتب، ومن الحكايات، ومن المجالس، ومن الشعر، ومن الفنون، ومن الذاكرة الشعبية، ومن التجربة المعاشة. وحين يمتلك المجتمع هذا الوعي، يصبح قادرًا على أن يرى نفسه بوضوح، وأن يميز بين ما ينبيه وما يهدمه، وبين ما يحفظه وما يضيعه. وهذا بالضبط ما تحتاجه واسط في كل مرحلة، لأن المدينة التي تعرف نفسها جيدًا تكون أكثر قوة في مواجهة التحولات

ولا تقتصر الثقافة على النخبة المتعلمة، بل تشمل كل الناس. فالأم التي تنقل القيم إلى أبنائها تمارس فعلًا ثقافيًا، والحرفي الذي يورث مهنته ومعرفته يفعل الشيء نفسه، والمزارع الذي يحافظ على علاقة الأرض بالإنسان يشارك في صناعة الذاكرة، والمعلم الذي يزرع السؤال في ذهن الطالب يساهم في بناء المستقبل. بهذا المعنى، الثقافة في واسط ليست ملكًا لفئة محددة، بل هي نسيج مشترك يصنع المجتمع كله، كلٌّ بحسب موقعه ودوره

كما أن الثقافة تمنح المدينة القدرة على مقاومة التهميش. فالمكان الذي يُنظر إليه فقط من زاوية اقتصادية أو إدارية قد يُختزل بسهولة، أما المكان الذي يملك إنتاجًا ثقافيًا فإنه يفرض حضوره من خلال المعنى. والمعنى أقوى من الصمت، وأبقى من القرار العابر. لذلك فإن واسط، لكي تستعيد مكانتها الحقيقية، تحتاج إلى أن تُقرأ ثقافيًا كما تُقرأ تاريخيًا وجغرافيًا. لأنها مدينة لا تنتهي عند حدودها، بل تمتد في الذاكرة واللغة والتجربة الاجتماعية

ومن هنا يمكن القول إن الثقافة في واسط ليست موضوعًا منفصلًا عن الحياة، بل هي الحياة نفسها حين تعي ذاتها. هي ما يجعل المجتمع قادرًا على النظر إلى ماضيه من دون خضوع، وإلى حاضره من دون انبهار، وإلى مستقبله من دون خوف. وهي أيضًا ما يجعل المدينة أكثر من مكان للسكن؛ يجعلها بيتًا للمعنى، ومجالًا للذاكرة، وساحةً لتشكّل الإنسان

إن مستقبل واسط لا يُبنى بالخرسانة وحدها، بل بالوعي. ولا يُصان بالحدود الإدارية وحدها، بل بالثقافة التي تحفظ الشخصية المحلية وتمنحها القدرة على النمو. وإذا كانت المدن تُقاس بحجم بناياتها، فإنها تُحكم بقوة ثقافتها. وواسط، بتاريخها وناسها وذاكرتها، تستحق ثقافة تليق بها، ثقافة تحمي الإنسان فيها وتفتح له بابًا أوسع لفهم نفسه والعالم

حقوق الانسان في العراق - ملف ساخن

صبحي الجميلي

بينما يتواصل الركض الماراثوني لتشكيل الحكومة الجديدة، في ظل مؤشرات تشي بأنها لن تخرج عن السياقات التي تحكمت في مسار التكوين سابقاً، بل قد تكون جوانب أخرى تضخمت، خاصة ما يتعلق بتقاسم الحصص ومساعي تلبية ضغوط هذا الطرف المتنفذ أو ذاك، عبر استحداث مناصب ترضية جديدة تزيد من الضغط على الموازنة العامة، التي أثقلها المتنفذون بالتعيينات الزبائنية، يبقى مهماً الاستمرار في تسليط الأضواء على حالة حقوق الانسان في العراق، وبضمنها حقوق التعبير بحرية والتظاهر والاحتجاج، المكفولة دستورياً لكن المنتهكة كثيراً في الواقع

يوم من الاحتجاج السلمي للفلاحين

والتهديد الخطر يتمثل أيضاً في محاولات الاغتيال، كما حصل مع الناشط ماجد ضرغام. فاستهداف النشطاء عبر التهديد أو محاولات الاغتيال الفعلي، ليس فقط انتهاكاً لحقوق التعبير والتظاهر، بل ومصادرة لحق الحياة للمواطن العراقي، ويهدف إلى إسكات الأصوات التي تسلط الأضواء على الفساد ونهب المال العام وسوء الإدارة، وعلى فشل المشاريع الحكومية، ومصادرة أراضي الدولة ونهبها، كذلك إسكات من يرون أن لا مستقبل للبلد في ظل نهج منظومة الحكم الحالية، التي استنفدت كل أسباب استمرارها وغدت عقبة كأداء أمام أي مسعى للإصلاح والتغيير الجديين

كذلك بيّن تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش لعام ٢٠٢٦ وجود فجوة واضحة بين النصوص القانونية والتطبيق. وهنا يبرز على نحو مقلق استمرار حالة الإفلات من العقاب وغياب المساءلة، وعدم انصاف الضحايا وعوائلهم. وقد حدث ذلك مع عوائل ضحايا وشهداء انتفاضة تشرين ٢٠١٩، ومع حالات الاغتيال التي طالت عددا من أصحاب الرأي والنشطاء، وبانتظار من يأتي إلى موقع القرار ليميط اللثام بجرأة وشجاعة ويكشف الحقائق، سواء المتعلقة بملف الاغتيالات أو التغييب القسري أو بملفات الفساد. ويتوجب أن تبدأ المساءلة قبل كل شيء مع المسؤولين الذين كرروا القول على مسمع ومشهد من العراقيين، بأن لديهم ملفات فساد لو كشفوها لانقلبت الأحوال رأساً على عقب!

إن تراكم الوقائع ذات الصلة بانتهاك حقوق الانسان، بما فيها الحق في التعبير، يؤشر وجود نمط مقلق من السلوك الذي يصعب النظر إليه

حالة حقوق الانسان ما زالت تثير قلقاً مشروعاً، ولا يقف الأمر عند التضييق الحاصل على النشر في الفضاء الرقمي، بل يتعدى ذلك إلى التعامل اللاقانوني والعنيف مع تظاهرات سلمية، مطلبية أو غيرها. ومثال ذلك ما حصل أخيراً مع تظاهرة الفلاحين والمزارعين، والتي كانت سلمية للتعبير عن مطالب مشروعة ودفاعاً عن حقهم في العيش الكريم، وفي الاسهام بقسطهم في توفير مفردات السلة الغذائية للمواطن العراقي، في وقت يستمر فيه ارتفاع الأسعار وفتح الأبواب للاستيراد على حساب المنتج الوطني. والغريب إن الحكومة تنصلت عن مسؤوليتها عمّا حصل للفلاحين، وألقت باللائمة على القوات الأمنية وكأن الأخيرة تتصرف بمعزل عن قياداتها المسؤولة!

ما حصل للفلاحين والمزارعين ليس حدثاً عابراً منفرداً، بل هو في سياق انتهاكات متكررة وضيق من الرأي الآخر، وقد شهدنا المضايقات أيضاً لتظاهرة ذوي المهن الصحية، التي جاءت بعد بمعزل عن طبيعة المنظومة الحاكمة والمتنفذة، ولا بمعزل عن إمكانية تنفيذ القوانين وتطبيقها على الجميع بعيداً عن الانتقائية. وفي هذا السياق يجري استخدام مخلّ لصياغات فضفاضة في القوانين الموروثة من النظام المقبور، لتبرير ما يوجه من تهم « الإساءة» أو « الإخلال بالنظام العام «، وهو ما يمكن توظيفه ضد المعارضين والنشطاء أو حتى ضد المنتقدين كما حصل في محافظة الأنبار

ونشير إلى أن هامش الحرية والديمقراطية وحيث ما انفكت مساعي المتنفذين على اختلاف تلاوينهم للتضييق عليه ومصادرته بمختلف الأشكال، بما في ذلك توظيف الدين والمقدس، يبقى موضع صراع وتحد، وباتجاه المزيد من الضغط السلمي ليبقى خطاً أحمر أمام من يسعى إلى التهميش والاقصاء وقمع الرأي الآخر، وعرقلة أي مسعى جاد لبلورة البديل المرتجى لمنظومة اقترفت، وما زالت تقترف الأخطاء والخطايا، حتى أوصلت بلادنا إلى ما هي فيه من كوارث ومآسٍ وأزمات

الموت والحياة.. معنى الحقيقي للحياة

ئاكار تاج الدين

الحياة والموت هاتان الحقيقتان العظيمتان للإنسان، كانتا دائماً مكاناً للتفكير وعمقاً لتأمل كل البشرية، منذ بداية تكون الإنسان وحتى الآن، كل شخص بطريقة من الطرق واجه هذا السؤال: لماذا نعيش؟ ما هو المعنى الحقيقي للحياة؟ هل الحياة مجرد عملية بيولوجية نحو الموت، أم أن هناك شيئاً آخراً وراء ذلك؟ في هذا المقال نحاول بشكل موجز عرض وجهات النظر المختلفة حول معنى الحياة

العرفان أو التصوف الذي يعرف كأحد أعمق الطرق لمواجهة الإنسان للحياة والموت، لديه رؤية خاصة. من المنظور العرفاني، الحياة ليست فقط هذا الجسد، وهذه الفترة القصيرة من الحياة، بل هي رحلة روحية نحو الله أو الحقيقة. شمس التبريزي ومولانا الرومي مثالان بارزان في هذا المجال

مولانا جلال الدين الرومي الذي كان تلميذاً لشمس التبريزي، كان يرى أن الحياة هي تلك الفرصة التي أُعطيت للإنسان لكي يعرف نفسه ويوصل نفسه إلى النقطة التي لا ينفصل فيها عن الله. على سبيل المثال، في أحد أشعاره يقول: «مت لكي تحيا، مت لكي تحيا، تلك هي الحياة الحقيقية التي تأتي بعد الموت»

يرى مولانا أن هذه الحياة الجسدية والمادية ليست إلا ظلاً للحياة الحقيقية، الحياة هي تلك الرحلة التي يسير فيها الإنسان في وحدته ليصل إلى تلك الحقيقة التي كل شيء فيها هو الله ولون الله. لذلك عند مولانا، الموت ليس مخيفاً، بل هو باب إلى الحياة الأبدية

شمس التبريزي أيضاً، كمرشد لمولانا، كان يرى أن الحياة لا تجد معناها إلا بالعشق والمحبة الروحية، وكان يعتقد أن طريق الوصول إلى الخلاص والحقيقة هو العبور عبر طريق الحب، لا عبر العقل والمنطق

الفلاسفة في عصور مختلفة كان لديهم آراء مختلفة حول معنى الحياة. سقراط، كمؤسس للفلسفة الغربية، كان يرى أن «الحياة بلا بحث هي حياة لا تستحق أن تعاش». لذلك عند سقراط، هدف الحياة هو البحث ومعرفة الذات

أفلاطون كان يرى أن الحياة الحقيقية في عالم الأفكار، وأن هذه الحياة المادية مجرد ظل وصورة ضعيفة لذلك العالم، لذلك هدف الإنسان هو أن يحرر روحه من قيد الجسد ويصل إلى عالم الأفكار

أرسطو، الذي ركز أكثر على الجانب العملي للحياة، كان يرى أن هدف الحياة هو تحقيق السعادة والهناء من خلال حياة مليئة بالفضيلة والعقلانية، وكان يرى أن الإنسان بطبيعته يحب السعادة، وأنها لا تتحقق إلا من خلال حياة صالحة ومليئة بالخير

فلاسفة آخرون مثل سارتر وكامو لديهم رؤية مختلفة. سارتر كان يرى أن «الوجود يسبق المعنى»، أي أن الإنسان يوجد أولًا ثم يصنع معنى حياته من خلال أفعاله واختياراته. كامو يقول إن الحياة في ذاتها بلا معنى، لكن على الإنسان أن يتمرد على هذا العبث ويجد السعادة في الصراع والكفاح

العلم، وخاصة علم الأحياء والفيزياء وعلم النفس، يقدم رؤية أخرى. من منظور علم الأحياء، الحياة عملية كيميائية وفيزيائية تحدث بين الولادة والموت. علم الأحياء يرى أن الإنسان مجرد نوع من الكائنات الحية التي نشأت عبر التطور، وليس له هدف خاص سوى البقاء والتكاثر

الفيزياء وخاصة فيزياء الكم، لديها رؤية مختلفة، إذ يقول الفيزيائيون إن العالم في مكوناته الأساسية يختلف عما يشعر به الإنسان. من هذا المنظور، قد تكون الحياة مجرد تنظيم خاص للطاقة، والموت عودة إلى الحالة الأصلية للطاقة

الأديان السماوية مثل الإسلام والمسيحية واليهودية لديها رؤية عامة حول معنى الحياة. في هذه الأديان، الحياة اختبار من الله، وقد خُلق الإنسان ليعبد الله ويعيش وفق تعاليمه. الموت هو نهاية هذه المرحلة من الاختبار، وبعدها توجد حياة أخرى: الجنة أو النار

في الإسلام، معنى الحياة مذكور بوضوح في القرآن: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦). لذلك الهدف الأساسي للحياة هو معرفة الله وعبادته

في المسيحية، معنى الحياة يكمن في المحبة والتضحية. عيسى المسيح يُقدم كنموذج يُعرف الحياة من خلال المحبة والتضحية بالنفس

العقيدة الزرادشتية، وهي من أقدم أديان العالم، لديها رؤية خاصة حول الحياة والموت. في الأفيستا، وهو الكتاب المقدس للزادشتيين، الحياة ساحة صراع بين النور والظلام، الخير والشر. وكان زرادشت يرى أن أهورا مزدا هو إله النور والخير، وأن أهريمن هو إله الظلام والشر، وعلى الإنسان أن يكون في هذا الصراع إلى جانب الخير

في هذا المنظور، معنى الحياة هو النضال المستمر من أجل الخير والحقيقة وتنظيم العالم. زرادشت وضع ثلاثة مبادئ أساسية للحياة الجيدة: «الفكر الحسن، القول الحسن، العمل الحسن». لذلك يجب على الإنسان أن يساهم عبر التفكير الجيد والكلام الجيد والعمل الجيد في انتصار النور على الظلام

الموت في العقيدة الزرادشتية ليس نهاية، بل هو باب إلى عالم آخر، حيث تذهب الروح إلى الجنة أو النار بحسب أعمالها في الحياة

خلاصة معنى الحياة، الآن بعد عرض هذه الرؤى المختلفة، يمكننا باختصار القول إن معنى الحياة له أوجه متعددة، ولا يمكن تحديده بتعريف واحد. لكن بشكل عام يمكن توضيحه من عدة جوانب

من الناحية البيولوجية: الحياة عملية تلقائية للبقاء والتكاثر، ولا تحمل معنى أعمق

من الناحية الشخصية: يجد معظم الناس معنى الحياة في الحب، العائلة، الأطفال، العمل، الإنجاز، خدمة الآخرين، وأهدافهم الخاصة

من الناحية الروحية والعرفانية: معنى الحياة هو رحلة الروح للوصول إلى الله أو الحقيقة أو الذات

من ناحية الأديان: الحياة اختبار واستعداد للحياة الأبدية

قد تكون الحياة بلا معنى محدد، وعلى الإنسان أن يصنع معناها بنفسه من خلال اختياراته وأفعاله

لماذا نعيش؟

سؤال «لماذا نعيش» من أصعب أسئلة الإنسان. لكن بشكل عام يمكن القول إن الإنسان يعيش لعدة أسباب

من أجل السعادة والهناء، من أجل الحب، من أجل الإنجاز والتقدم، من أجل الحقيقة والمعرفة، من أجل خدمة الآخرين

كيف يجب أن نعيش؟

لكي نعيش حياة ذات معنى وسعادة:

اعرف نفسك: أول خطوة لحياة جيدة هي معرفة نفسك، قدراتك، نقاط ضعفك، رغباتك وأهدافك

أحب: امنح الحب لنفسك وللآخرين، فهذا أساس الحياة السليمة

عش وفق قيمك: حدّد قيمك وعش وفقها.

تعلّم وتطور: الحياة رحلة تعلم مستمرة.

اخدم: خدمة الآخرين من أقوى طرق إيجاد المعنى

عش في الحاضر: لا تعش في ندم الماضي أو قلق المستقبل

الحياة بحد ذاتها مهمة، دون الحاجة لإيجاد سبب لها. كل نفس، كل لحظة، كل تجربة سواء كانت جيدة أو سيئة هي جزء من هذه الهدية الفريدة

أهمية الحياة تكمن في أنها الفرصة الوحيدة لتجربة كل هذه الأشياء. كل إنسان لديه حياة خاصة لا يمكن لأي شخص آخر أن يعيشها بدلاً عنه

في النهاية، الحياة والموت حقيقتان يكمل كل منهما الآخر. الموت هو ما يمنح الحياة معناها، لأنه بدون الموت، لو كانت الحياة أبدية، لفقدت كل الاختيارات والأفعال قيمتها

الحياة قصيرة لكنها عميقة وواسعة، إنها فرصة لترك شيء ذي قيمة، شيء يستحق أن يتذكر. مثل بذرة تسقط في الأرض وتصبح شجرة كبيرة، يمكن لحياة كل إنسان أن تكون مصدر حياة للآخرين

في النهاية كما يقول مولانا: «من لم يمت في الحب، عاش إلى الأبد». الحياة الحقيقية هي أن تعيش بالحب والمعنى، لا بالجسد فقط

الحياة قصيرة لكنها عميقة، إنها فرصة لنرى، نسمع، نشعر، نحب، نبكي، نضحك، نحزن، نتعلم، ننمو، وفي النهاية نسلك طريقنا نحو الرحيل بنفس الغموض الذي جئنا به

رزاق صالح

كل إنسان له معناه الخاص، البعض يجده في العائلة، البعض في العمل، البعض في الفن، البعض في الخدمة، البعض في الحب. المهم أن تجد معناك، لأن الإنسان بلا معنى كقارب بلا اتجاه في بحر الحياة

الإنسان والمجتمع... من البقاء إلى الحرية

أحمد عز الدين

منذ بداية وجود الإنسان على الأرض، كانت الحاجة إلى البقاء هي العامل الأساسي الذي دفع البشر إلى تأسيس المجتمعات وتنظيم حياتهم المشتركة، فالإنسان لم يكن قادرًا على العيش بمفرده في مواجهة الطبيعة والمخاطر المحيطة به، لذلك لجأ إلى التعاون الجماعي من أجل تأمين الحماية والغذاء واستمرار النسل. ومن هنا تشكّل ما يعرف بالمجتمع الطبيعي، وهو أول شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي في التاريخ البشري. في هذا المجتمع كانت العلاقات قائمة على التعاون والمشاركة، ولم تكن هناك سلطة مركزية أو طبقات اجتماعية أو دول بالمعنى المعروف اليوم. كانت الجماعة هي الأساس، وكانت القيم الأخلاقية تنظم حياة الناس بشكل طبيعي وفق احتياجاتهم اليومية

اعتمد المجتمع الطبيعي على ثلاثة أسس رئيسية: الدفاع عن النفس، والتغذية، واستمرار النسل. ومن أجل الحفاظ على هذه الأسس ظهرت قواعد تنظم العلاقات داخل الجماعة، وهي ما نسميه اليوم بالأخلاق. فالأخلاق لم تكن قوانين مكتوبة أو مفروضة بالقوة، بل كانت تعبيرًا عن حاجة المجتمع إلى الحفاظ على توازنه الداخلي. وفي الوقت نفسه ظهرت السياسة كطريقة لتنظيم شؤون الجماعة وإدارة حياتها المشتركة. لذلك يمكن القول إن المجتمع الطبيعي كان مجتمعًا أخلاقيًا وسياسيًا بطبيعته، لأن الناس كانوا يشاركون بصورة مباشرة في اتخاذ القرارات التي تخص حياتهم

ومع مرور الزمن بدأت المجتمعات تكبر وتتوسع، وبدأت تظهر أشكال جديدة من النشاط الاقتصادي والاجتماعي. ظهرت الزراعة وتربية الحيوانات، ثم ظهرت القرى والأسواق والتجارة. ومع تطور التجارة بدأت المدن تتشكل، وبدأت الثروة تتجمع في أيدي فئات معينة. هذا التحول أدى إلى ظهور الطبقات الاجتماعية والسلطات المركزية التي احتكرت القوة والثروة، وهنا بدأ الانتقال من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع الطبقي والدولة

المدنية المركزية قامت على السيطرة على القيم والإنجازات التي أنتجها المجتمع الطبيعي وتحويلها إلى أدوات للهيمنة. فالكثير من الإنجازات الإنسانية مثل الزراعة والتنظيم الاجتماعي والثقافة والدين، تم الاستيلاء عليها من قبل السلطات الحاكمة واستخدامها لخدمة مصالحها الخاصة. وبدل أن تكون هذه الإنجازات ملكًا للمجتمع، أصبحت أدوات للسيطرة والاستغلال. ومن هنا ظهرت الدولة بوصفها مؤسسة تحتكر القوة والسلاح والاقتصاد، وتفرض سلطتها على المجتمع

التاريخ الإنساني لم يكن مجرد تاريخ دول وإمبراطوريات، بل كان أيضًا تاريخ مقاومة مستمرة من قبل المجتمعات والشعوب ضد السلطة المركزية. فالثورات الشعبية، وانتفاضات العبيد، والحركات الدينية، ونضالات النساء، والصراعات الاجتماعية، كلها كانت محاولات للحفاظ على قيم الحرية والمساواة والعدالة داخل المجتمع. ولذلك فإن الحضارة الديمقراطية لم تختف يومًا، بل استمرت في الوجود داخل نضال الشعوب عبر التاريخ

ومع تطور المجتمعات ظهرت الرأسمالية كنظام اقتصادي وسياسي جديد يعتمد على تراكم رأس المال وتحويل كل شيء إلى سلعة قابلة للبيع والشراء. بدأت الرأسمالية بشكلها الأول عبر التجارة والاستعمار، حيث قامت الدول الأوروبية بالسيطرة على الشعوب الأخرى ونهب ثرواتها الطبيعية واستخدام سكانها كعبيد أو كقوة عمل رخيصة. وقد ساهمت الكشوفات الجغرافية والتوسع البحري في توسع هذا النظام وانتشاره عالميًا

تُعرف هذه المرحلة باسم «الرأسمالية التجارية»، حيث كان الهدف الأساسي هو تحقيق الربح من خلال التجارة والاستعمار ونهب الثروات. وفي هذه المرحلة ظهرت أسواق العبيد وانتشرت عمليات الاستغلال بشكل واسع. فقد تم تحويل الإنسان نفسه إلى سلعة تُباع وتُشترى، وأصبحت الشعوب المستعمرة مصدرًا للمواد الخام واليد العاملة الرخيصة

ثم جاءت الثورة الصناعية لتفتح مرحلة جديدة تُعرف بـ «الرأسمالية الصناعية». مع اختراع الآلات واستخدام البخار بدأت المصانع الضخمة بالظهور، وأصبح الإنتاج يتم بكميات هائلة. هذا التطور أدى إلى تضخم قوة الشركات وأصحاب رؤوس الأموال، بينما تحول العمال إلى مجرد أدوات داخل عملية الإنتاج. ورغم أن الثورة الصناعية ساهمت في تطور التكنولوجيا وتحسين بعض جوانب الحياة، إلا أنها أدت أيضًا إلى تعميق الفوارق الطبقية وزيادة الاستغلال. فقد أصبحت الثروة تتركز بشكل أكبر في أيدي فئة صغيرة، بينما عاشت الطبقات الفقيرة في ظروف صعبة

ومع مرور الزمن تطورت الرأسمالية إلى مرحلة جديدة هي «الرأسمالية المالية». في هذه المرحلة لم يعد الاعتماد الأساسي على الإنتاج الصناعي، بل على المال نفسه. فقد أصبحت البنوك والبورصات والمؤسسات المالية الكبرى تتحكم بالاقتصاد العالمي، وظهرت أدوات مالية جديدة مثل الأسهم والقروض والتصنيفات الائتمانية، وأصبح من الممكن السيطرة على اقتصاد دولة كاملة عبر الديون أو المضاربات المالية دون الحاجة إلى احتلال عسكري مباشر

الرأسمالية الحديثة تعتمد على ثلاث ركائز أساسية: الليبرالية، والدولة القومية، والصناعة الاحتكارية. فالليبرالية تركز على الفردية المطلقة وتفكيك الروابط الاجتماعية، بحيث يصبح الإنسان معزولًا عن مجتمعه ومندمجًا في ثقافة الاستهلاك. أما الدولة القومية فتهدف إلى فرض هوية واحدة ولغة واحدة وثقافة واحدة، الأمر الذي يؤدي إلى قمع التنوع القومي والثقافي والديني. في حين أن الصناعة الحديثة حوّلت كل شيء إلى سلعة، بما في ذلك التعليم والصحة والثقافة وحتى المشاعر الإنسانية

الإعلام المزيف في العراق وتأثيره على المواطن العراقي

علي آل سلمان

في السنوات الأخيرة، أصبح الإعلام واحدًا من أهم الأدوات التي تؤثر بشكل مباشر في تشكيل الوعي المجتمع، وتوجيه الرأي العام نحو قضايا معينة تخدم مصالح محددة

وفي العراق، الذي يعيش ظروفًا معقدة ومتداخلة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، برزت مشكلة الإعلام المزيف كأحد أخطر التحديات التي تهدد استقرار المجتمع

الإعلام في أصله رسالة سامية، تهدف إلى نقل الحقيقة وخدمة الناس، لكنه في بعض الأحيان ينحرف عن هذا المسار ليصبح أداة تضليل

وهذا الانحراف هو ما يُعرف بالإعلام المزيف، الذي لا ينقل الواقع كما هو، بل يعيد صياغته بما يخدم جهات معينة

الإعلام المزيف لا يقتصر فقط على نشر الأخبار الكاذبة، بل يشمل أيضًا التلاعب بالمعلومات، والتحريف الجزئي للحقائق، واختيار زوايا معينة لإظهار الأحداث، وإخفاء زوايا أخرى. وهذا النوع من الإعلام أصبح منتشرًا بشكل كبير، خصوصًا مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي، وسهولة نشر الأخبار دون رقابة حقيقية. في العراق، أخذ الإعلام المزيف طابعًا أكثر خطورة، لأنه يرتبط في كثير من الأحيان بالصراعات السياسية، والتنافس على السلطة، والسعي للسيطرة على عقول المواطنين. هناك العديد من القنوات الفضائية والإلكترونية، التي لا تعمل وفق معايير مهنية، بل تعمل وفق توجيهات جهات مسيّسة، وترتبط بمصالح خاصة. هذه القنوات لا تنقل الحقيقة كاملة، بل تقوم بانتقاء ما يخدمها فقط، وتقوم بتضليل الجمهور بشكل مباشر أو غير مباشر، بل إن بعضها يلعب بشكل واضح في مشاعر المواطنين. ويستغل معاناتهم اليومية، من أجل تحقيق مكاسب سياسية ومالية، يتم استخدام لغة عاطفية مؤثرة. وصور صادمة، وعناوين مثيرة، لجذب الانتباه والتأثير في الناس. وهذا الأسلوب يؤدي إلى خلق حالة من التوتر المستمر والخوف، والغضب داخل المجتمع.

ومن أخطر ما في الإعلام المزيف، أنه يزرع الشك في كل شيء، ويجعل المواطن غير قادر على التمييز بين الحقيقة والكذب

وبمرور الوقت، يفقد الناس ثقتهم بكل وسائل الإعلام، حتى الصادق منها. وهذا يؤدي إلى حالة من الضياع الفكري. حيث لا يعرف المواطن أين الحقيقة. كما أن الإعلام المزيف يساهم في نشر الإشاعات، والأخبار غير المؤكدة، التي قد تؤدي إلى مشاكل اجتماعية كبيرة، وقد تصل أحيانًا إلى إثارة النزاعات، والخلافات بين فئات المجتمع. في بعض الحالات، يتم استخدام الإعلام لإثارة الانقسامات الطائفية أو القومية، وهو أمر خطير جدًا على وحدة العراق

الإعلام المزيف لا يخدم المواطن، بل يخدم الفاسدين الذين يسعون إلى البقاء في السلطة، وهؤلاء يستخدمون بعض الوسائل الإعلامية، كأدوات للدفاع عن أنفسهم، وتشويه صورة خصومهم، بل ويعملون على تزييف الحقائق وإخفاء قضايا الفساد، وإبعاد الأنظار عن المشاكل الحقيقية. ومن المؤسف أن بعض هذه القنوات تدّعي المهنية، وتتحدث باسم الشعب

وهي في الحقيقة لا تمثله. وهنا يجب التأكيد على نقطة مهمة جدًا، وهي أن الإعلام ليس شهادة أكاديمية فقط، بل الإعلام مبدأ. الإعلام هو أخلاق، هو صدق، هو مسؤولية. فليس كل من يحمل شهادة إعلامية، يُعتبر إعلاميًا حقيقيًا. الإعلامي الحقيقي هو من ينقل الحقيقة، حتى لو كانت ضد مصلحته، وهو من يحترم عقل المشاهد، ولا يحاول خداعه. وهو من يضع مصلحة الوطن فوق كل اعتبار. لكن للأسف، هناك من دخل هذا المجال. بدون أي التزام أخلاقي، واستخدم الإعلام كوسيلة للربح، أو لتحقيق أهداف سياسية. وهذا ما ساهم في انتشار الإعلام المزيف. تأثير هذا النوع من الإعلام على المواطن العراقي كبير جدًا. فهو يسبب له التوتر النفسي والقلق المستمر، كما يجعله يعيش في حالة من الشك، ويؤثر على قراراته اليومية. وقد يدفعه إلى اتخاذ مواقف مبنية على معلومات خاطئة، كما أنه يضعف وعيه السياسي، ويجعله عرضة للتلاعب

ومن النتائج الخطيرة أيضًا أنه يساهم في نشر ثقافة الكراهية، ويزيد من الانقسامات داخل المجتمع، ويقلل من فرص الحوار البناء. كما أنه يعيق عملية الإصلاح، لأنه يضلل الناس، ويجعلهم لا يرون الحقيقة. وفي ظل هذا الواقع، تصبح مسؤولية المواطن كبيرة جدًا. حيث يجب عليه أن يكون واعيًا، وأن لا يصدق كل ما يسمع، وأن يتحقق من مصادر الأخبار، وأن يعتمد على أكثر من مصدر.

كما يجب دعم الإعلام النزيه، والوقوف مع الصحفيين الشرفاء، الذين يعملون بصدق، ويحاولون نقل الحقيقة رغم الصعوبات. كما أن على الجهات المعنية، أن تضع قوانين واضحة، لمحاسبة الجهات التي تنشر الأخبار الكاذبة، وتعمل على تضليل الناس. لكن في النهاية، يبقى الوعي المجتمعي هو العامل الأهم، لأنه هو الذي يحدد مدى تأثير الإعلام المزيف. فكلما زاد وعي الناس

قل تأثير هذا الإعلام. وكلما كان المجتمع مثقفًا، كان من الصعب خداعه. الإعلام سلاح إما أن يُستخدم لبناء المجتمع، أو يُستخدم لهدمه. والاختيار يعتمد على من يستخدمه. واليوم، نحن بحاجة إلى إعلام صادق، إعلام يحترم الحقيقة. إعلام يخدم الوطن، لا يخدم الفاسدين. نحن بحاجة إلى إعلام يعكس الواقع، لا يزيفه، إعلام يبني الوعي، لا يدمره

وفي الختام، فإن الإعلام في جوهره ليس مجرد مهنة، وليس مجرد شهادة، بل هو مبدأ. وإذا لم يتمسك الإعلاميون بهذا المبدأ، فإنهم سيساهمون في تدمير المجتمع، بدل بنائه. والعراق اليوم، بحاجة إلى الكلمة الصادقة، أكثر من أي وقت مضى

خوف «أمل» (٢)

محمد الأمارة

(قولي لزوجتك: نفسي على المهر المعلوم، والمدة المعلومة بيننا)، (بينما قال هو: قبلت زواجك) دخل عليها (عبد الحميد) خلسةً من الناس في الزقاق، ومن أولادها في الدار، وهي في الغرفة تخبي صورة زوجها المتوفى خلسةً عنه، وبعد ذلك ترفع الشرشف عن صورة زوجها السابق حال مغادرته فراشها وبيتها؛ حتى لا يشعر أولادها بما يجري خلف ظهرهم، وإن كانوا صغارًا في العمر، لكن ذلك قد يحفر في مخيلتهم أشياء تبقى خالدةً طول العمر، وقد يشكل عندهم عقدةً من أمهم تسيء لها حين تصبح عجوزًا تحتاج عطفهم ورعايتهم لها عبد الحميد أمامها بشحمه ولحمه، وهو يخلع غترته وعرق جبينه من على رأسه، والشيب يملؤه. أمل تخلع عنه سترته التي يرتديها فوق ثوبه

أمل: أراك اليوم متأخرًا في مجيئك إلينا حبيبي... هل نسيتنا بعد عودتك من صلاة الفجر في المسجد، وهمَمْتَ أن تدخل إلى بيت ضرتي سليمة في البيت الكبير؟ أم أنك وجدت أن إحدى النساء تراقب من يذهب ومن يجيء للحي؟... لا يهم... لا يهم... المهم أنك جئت... لكن يجب عليَّ أن أجهز لك الفطور قبل أن... قبل أن... يبدأ السباق... ولا بد لك من أن تتغذى جيدًا لتكون فحلاً قويًا وتفوز بالسباق... ودعك من هذه الحبة الملفوفة بالسيلفون وتدعي أنها حبة المزاج، فقد تقتلك يومًا ما وأنت ما زلت وسط السباق. والآن دعنا نعيش بعض اللحظات السعيدة في الحياة سويًا»

بابتسامة يستجدي بها جسدها المخملي الطري، وهو يتخيلها كلؤلؤة أو كعروس بحر خرجت منه لتوِّها

عبد الحميد: صباح الخير قرة عيني (أمل)، ومسكن أنفاسي

- يقترب منها أكثر.

أمل: اشتقت إليك حبيبي.. كاشتياق الورد للندى، والسماء للنجوم، والعصافير للشجر، والأرض للمطر. أشعر وأنا معك كمن تدفأت بالشمس وسط برد الشتاء. قربك عندي كمن ضاعت وسط غابة كبيرة وحالكة الظلام، وجئته تنقذها من وحوشها

- يقترب منها ويلتصق جسده بجسدها وهو يحضنها بشوق شديد، ويقبل رقبتها وشفايفها بحرارة

عبد الحميد: هيا بنا يا حبيبتي إلى فراشِنا يا زينة النساء، فعطر جسدك قد تغلغل إلى دواخلي وشلَّ أنفاسي

أمل: نعم.. لكن قبلها... عليه... أن... أن...

- عبد الحميد يبدأ يقبل رقبة (أمل) المتراقصة أمام قُبلاته يمينًا وشمالًا. ثم تتوقف حركتها الراقصة فجأةً. تصبح صورة زوجها المتوفى أمام عينها. تحدق إليه بتمعن كأنها تراه أول مرة حين وقع الشرشف الذي يغطي صورته. تخاطبه بهمس كلمات مع نفسها، وأفكارها مشتتة من خلف ظهر عبد الحميد وهو منهمك بالقبلات وشم رائحة جسدها المغرية له

أمل: ((مالي أراك ساكتًا لا تتكلم... هل هو الخجل أم الغضب؟ ليس لك وقعٌ في المكان، وليس لك أي أصداء... ها.. لقد نسيتَ أنت ميت. كباقي رجال عمومتي ورجال الحي... لكنك لا تبالي في منامي وتوقظني بين الغفوات التي لا تراودني إلا بعض اللحظات. والآن، دعني أمكّن عبد الحميد أن يعيش هذه اللحظات التي سرقت منك مكرهًا ولست راغبًا. حقوقك تسلب منك قسرًا، وأنت تقف خلف هذا الإطار الخشبي المتهالك بصمت مطبق مخجل. متى تكسره وتعبر عن غضبك؟ متى تثأر ممن سرقوا أحلامك وممن قتلوك... وقتلوني؟ أتمنى أن يأخذني الموت معك لنعيش معًا في ذلك العالم، فربما الموت هو أفضل من العيش وسط الأحياء. وحوش كاسرة، يتلذذون بعذابات الآخرين... عذرًا عليَّ أن أغادرك... عليَّ أن أذهب لمخدع آخر، عليَّ أن أراعي خواطر... عليَّ أن أبتسم لغيرك... وأتودد إلى من جاء بعدك. فقد انتهى دورك، وجاء دور الآخرين))

(أمل) تعيد الشرشف على صورة زوجها المتوفى دون أن يلاحظ عبد الحميد ذلك، وتعود (أمل) بأفكارها إلى (عبد الحميد). وهي تهوي على السرير بظهرها كمن هوى من أعلى برج عالٍ نحو منحدر شديد. تتلقفه أمواج بحر وتغوص به وسط عمقه اللُّجّيِّ. ليس له قعر أو نهاية. تداعبك فيه أشياء مبهمة، تلسع في كل جسدك الرخو الذي لا يحتمل قرصة بعوضة، فما بالك بلسعة رجل سبعيني قد هوى فوق لحمها وغرز فحولته بين طيات روحها وأحاسيسها المرتعبة والمنكسرة. سرحت مع الذكريات وبدأت تكلم روحها بصمت

أمل: كانت كل أيامي كذلك منذ أن كنت طفلة، وأمي تسمعني أغانيها وهي تحاول أن أغفو بنوم عميق هادئ لبعض الوقت لكي ترتاح هي وتنام بعض الشيء، فقد أتعبها سهر الليل الطويل وهي تحاول أن تتفهم سبب بكائي طوال الليل. لم أكن أشكو من شيء وأنا بحضنها، لكني كنت أريدها أن تبقى بجانبي ولا تفارقني، فقد كنتُ رغم حداثة ولادتي أريد أن أشبع من حنانها الذي قد يقارقني في أي لحظة

- الوقت يمضي، وبدأت (أمل) تشعر بزوال سخونة جسد عبد الحميد تدريجيًا، وصوت أزيزه الصاخب قد اختفى، الذي كان لم يتوقف طوال ربع ساعة من الوقت وهما معًا فوق السرير المرتجف تحتهما. عمَّ السكون بعدها في الغرفة، بينما سمعت صوت زوجها المتوفى من خلف الشرشف وهو يوقظها من أحلامها التي غفت بها لدقائق

الصورة: أمل، عليك أن تتداركي حالك، فقد جاءت المنية مسرعةً بلا هوادة

- انتفضت (أمل) وهي تكلم (عبد الحميد) وهي لم تفهم مراد زوجها السابق

أمل: مالي أراك قد تجمدت فوق جسدي بلا حركة؟ أين أنفاسك التي دفأت جسدي العريان إلا من لحمك الذي غطاني؟

- لحظة سكوت تطبق في المكان، وبرودة بدت تسري إلى جسد (أمل) بدل الدفء الذي كان يلفها. وشعرت أن برد تشرين قد جاءها غفلةً من أمرها

أمل: عبد الحميد، مالك تخشبت كجذع شجرة يابسة؟ أرجوك أن تتكلم حبيبي. ما الذي جرى؟... هل نمت في هذه اللحظات الساخنة؟!!

حاولت أن ترفع جسده عن جسدها لكنها لم تستطع لثقل جسده. جمعت كل قواها، وعضَّت على أسنانها وشفتيها حتى أزاحت جسد (عبد الحميد) الساكن وبلا أنفاس عن كاهلها الرقيق. نظرت إليه وعيناها شاخصتان إليه، وفمها مفتوح، ووضعت يدها عليه، قد صمتت الصرخة التي كانت ستطلقها وماتت في جوفها خوفًا من الفضيحة. هزَّت جسد (عبد الحميد) بقوة وهي تكلمه

أمل: عبد الحميد، ما بك؟ ما الذي جرى لك؟... هل أُغْمي عليك؟... أخبرني أرجوك... رُدَّ عليَّ أتوسل إليك... لا... لا تتركني بهذا الموقف الصعب، بالله عليك، أسألك بكل كلمات الاشتياق التي قلتها لي وقلتها لك

- بدأت تلطم خديها وتضرب رأسها بيدها، وهي في ذهول، غير قادرة على الكلام. انخرس لسانها، شعرها مبعثر، ووجهها قد انكمش، وتوقفت يداها عن الحركة. تنظر نحو مكان خروجها من الغرفة هي و(عبد الحميد)، وتشير بأصبعها نحوه بصعوبة

أمل: إنه الصباح قد جاء... عبد الحميد، عليك أن تغادر مخدعي إلى حيث مخدعك في بيتك الكبير في الزقاق المجاور لزقاق بيتي، وإلا تستبطئك زوجتك الأولى، فقد تأخرت على عودتك إليهم وأنت تشتري الخبز الحار مني لهم

- تتحرك نحو صورة زوجها المتوفى، وترفع عنه الشرشف الأبيض وتكلمه

ثقافة الصويرة لوحة زمنية مستمرة

أ. علي كوكز آل وان

تُعدّ النشاطات الثقافية والبازارات من أبرز الوسائل التي تُسهم في تنمية المجتمعات المحلية، ولا سيّما في قضاء الصويرة، الذي يمتلك طاقات شبابية وإرثًا اجتماعيًا وثقافيًا غنيًا. إن دعم هذه الفعاليات ليس ترفًا، بل هو استثمار حقيقي في الإنسان والمجتمع على حدّ سواء.

أولًا، تُسهم النشاطات الثقافية في تعزيز الوعي والمعرفة لدى مختلف فئات المجتمع، من خلال الندوات والمعارض والورش الفنية والأدبية. فهي تفتح آفاقًا جديدة أمام الشباب، وتُنمّي مواهبهم، وتُبعدهم عن الفراغ والظواهر السلبية. كما أنها تُعزّز الهوية الثقافية المحلية، وتُعيد إحياء التراث الشعبي الذي يُعدّ جزءًا أصيلًا من تاريخ الصويرة.

أما البازارات، فهي لا تقل أهمية، إذ تُوفّر منصة حيوية لدعم المشاريع الصغيرة والحِرف اليدوية، خاصةً للنساء والشباب. فمن خلالها يمكن عرض المنتجات المحلية والترويج لها، مما يُسهم في تحسين الدخل الفردي وتحريك عجلة الاقتصاد المحلي. كما تُعزّز هذه الفعاليات روح التعاون والتكافل بين أبناء المجتمع.

ومن الجانب الاجتماعي، تُشكّل هذه النشاطات مساحة للتلاقي والتواصل بين الأهالي، مما يُقوّي الروابط الاجتماعية ويُعزّز روح الانتماء للمكان. فحين يجتمع الناس في فعالية ثقافية أو بازار، فإنهم لا يشاركون فقط في حدث، بل يشاركون في بناء مجتمع أكثر تماسكًا وحيوية.

لذلك، فإن دعم الجهات الرسمية والمؤسسات التعليمية وأصحاب المبادرات لهذه النشاطات يُعدّ أمرًا بالغ الأهمية. ويمكن أن يكون هذا الدعم من خلال توفير الأماكن المناسبة، أو الترويج الإعلامي، أو تقديم التسهيلات اللازمة للمشاركين.

وفي الختام، إن قضاء الصويرة يمتلك مقومات كبيرة ليكون مركزًا ثقافيًا واقتصاديًا نابضًا بالحياة، لكن ذلك يتطلب اهتمامًا حقيقيًا بالنشاطات الثقافية والبازارات، ودعمها بشكل مستمر، لأنها الطريق نحو مجتمع واعٍ متماسك، ومزدهر.

ملحمة الأدب للبحث عن الخلود في عراق الضياع

مروة الطائي

حين يمتطي الفساد صهوة الحضارة

في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد، كتبت على جدران أوروك ملحمة الخالدين، حينما بحث جلجامس، ملك المدينة السومرية، عن سر البقاء بعد أن خسر صديقه إنكيدو. كان العراق آنذاك حامي الحضارة، لا حصاناً يمتطيه كل فاسد. لكن أين نحن اليوم؟ جلجامس يبحث عن الخلود في أعماق المياه، ونحن نبحث عن الخلود في أعماق المستنقع

مقارنة ملحمية - جلجامس والعراق المعاصر

يا جلجامس، يا من بحثت عن سر البقاء
في أعماق البحار وفي أوصال الوحوش
ها هي أوروك اليوم تعود ركاماً من ركام
ليس غضب الآلهة ما أهلكها
بل فساد يجر فساداً، ووهم يلد وهماً
كان قلبك السومري ينبض بالعدالة
وها هم اليوم يمتطون صهوة العراق
كأنه حصان ذليل لا يحمل فارساً واحداً
بل يركبه ألف فاسد في ليل ضياع
لقد تحول العراق المعاصر إلى مرآة مقلوبة لملحمة جلجامس. ففي الملحمة، كان البطل يسعى للخلود الفردي عبر الأعمال البطولية. أما اليوم، فإن الأمة العراقية تبحث عن خلودها الجماعي، لكنها تغرق في مستنقع الفساد الذي استبدل الطين الذي خلق منه الإنسان الأول (طين الخالق) بمستنقع آسن

ثورة الأدب كمنقذ من المستنقع

إن الفرق جوهري بين «أدب الثورة» و«ثورة الأدب». أدب الثورة هو أدب المراحل الانتقالية، يرافق النضال، لكنه قد يموت عندما تنتهي الثورة. أما ثورة الأدب، فهي انقلاب جذري في طريقة رؤيتنا للعالم، تعيد تعريف العلاقة بين الكلمة والواقع

أيها الشعراء، يا حراس الكلمة المقدسة
أنتم من سيرفعون العراق من وحله
لا بالسيوف ولا بالوعود الكاذبة
بل بقصيدة تمحو وجه الفاسد عن جدار الزمن
قصيدة مثل جلجامس، تمشي على المياه
وتعبر المستنقعات بلا أن تغرق
تزرع في قلب الحصان المذلول روحاً
فيعرف فجأة أنه حامي الحضارة لا حصانها
كيف ننتشل وطننا؟
بالكلمة التي تكسر قيود الصمت
بالرواية التي تروي جراح المغلوبين
بالشعر الذي يمطر سيوف الظالمين صدأ

الحل يكمن في استعادة دور الأدب كقوة حقيقية للتغيير. في ملحمة جلجامس، كان الأدب وسيلة للخلود من خلال تسجيل الأعمال. اليوم، يمكن للأدب أن يكون وسيلة للخلود المجتمعي من خلال

١. توثيق الحقيقة: الشعراء والأدباء كحراس الذاكرة، يوثقون الفساد بكلمتهم التي لا تُشترى
٢. بناء الوعي الجمعي: الأدب يخلق رابطة أخلاقية بين أبناء الوطن الواحد، تماماً كما جلجامس وإنكيدو
٣. تخليد النماذج الصالحة: بدلاً من تخليد الفاسدين، يخلد الأدب صورة العراقي النقي الذي يقاوم

الخلود المجتمعي رأس مال العراق الحقيقي

ليس الخلود فيما ظنه جلجامس في شبابه
ليس الخلود في عشبة بحرية أو تعويذة سحرية
الخلود اليوم يا سكان الرافدين
في أمة تنتفض بالقصيدة قبل السلاح
الخلود المجتمعي: أن يعيش العراق
في كل قصيدة تكتب غداً
في كل طفل يحفظ حروف الألف باء
على أنقاض من كانوا يمتطون صهوته بالأمس
قم يا جلجامس من سباتك الرمادي
لم يبق في أوروك سوى أقلام صامدة
وأنت العائد من رحلة البحث عن الحياة
لتكتب على جدران اليوم:
«من يكتب الحقيقة لا يموت»
إن الخلود المجتمعي الذي ننشده يختلف جذرياً عن خلود جلجامس الفردي. إنه خلود الأمة في وعيها وأدبها وتاريخها. الأديب العراقي اليوم هو جلجامس الجديد، يبحث لا عن عشبة الخلود، بل عن قصيدة تمحو آثار الفساد وتعيد للعراق دوره كحامي الحضارة

ملحمة العراق التي لم تنته بعد

في نهاية ملحمة جلجامس، عاد البطل إلى أوروك ليكتب على جدرانها كل ما تعلمه، راضياً بخلود المدينة بدلاً من خلوده الشخصي. هذا هو درس العراق اليوم، الخلود ليس في أن نحيا إلى الأبد، بل في أن نكتب قصة انتصارنا على الفساد، لنظل نموذجاً للأجيال القادمة

يا أيها العراق، لست حصاناً لأحد
لست مستنقعاً لأي فاسد
أنت ملحمة لا تنتهي
تكتبها الأقلام حين تعجز السيوف
من مستنقعك ستنبت ثورة القصيدة
ومن طينك الذي خلقت منه البشرية
سنصنع خزفاً جديداً للخلود
نكتب عليه: «هنا عاش العراقيون»
«هنا انتصر الأدب على الفساد»
فانهضوا يا شعراء النهضة الجديدة
اكتبوا، وارضوا بالخلود المجتمعي
لأن الكلمة عندما تكون طاهرة
تخلد الأوطان وتزهق الفساد